أسر مسلمة

في وجه الطغيان

راهيم عبدالرزاق أبوصبرة

دار الأندلس الخضراء

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

أسر مسلمة في وجه الطغيان

((في عصر النبوة))

بسم الله الرحمن الرحيم

أسر مسلمة في وجه الطغيان

((في عصر النبوة))

٢١٠,٤
٩١ص

تأليف

إبراهيم عبد الرازق أبو صبرة

دار الأندلس الخضراء

المملكة العربية السعودية - جدة

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

دار الأندلس الخضراء
المملكة العربية السعودية – جدة

الإدارة: ص.ب : ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف : ٦٨١٠٥٧٧ – فاكس : ٦٨١٠٥٧٨
المكتبات : ◆ حي السلامة – خلف مسجد الشعيبي هاتف – فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩
◆ حي الثغر – شارع باخشب – هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ – فاكس: ٦٨١٠٥٧٨
◆ مكتب الرياض : هاتف / فاكس : ٢٤٢٤٩٣٠
الموقع: www.alandalos.com - البريد الإلكتروني: info@alandalos.com

إهداء

✍ إلى كل من رضي بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمدﷺ نبيًّا ورسولاً.

✍ إلى الفئة المرابطة حول المسجد الأقصى ؛ لا يضرهم من خذلهم.

✍ إلى دعاة الحق في كل مكان.

✍ إلى الأسرة المسلمة.

✍ إلى هؤلاء جميعًا أهدى هذا الكتاب.

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

لقد كان للأسرة المسلمة دورٌ بارزٌ في مواجهة الطغيان منذ بداية الدعوة الإسلامية، واستغلت الأسر المسلمة كلَّ ما لديها من قدرات وطاقات في هذه المواجهة.

وكان المحرك الرئيسي لهذه الأسر هو العقيدة الإسلامية الراسخة في أعماق أفرادها؛ حيث جمعت بين أفرادها عقيدة واحدة، فأصبحت هي محور حياتهم، وبؤرة اهتمامهم، فاستمدَّت الأسر قوَّتها من قوة عقيدتها، وربطت بين حياتها وبين تلك العقيدة، بل إنها وهبت حياتها كلها لصالح هذه العقيدة متمثلة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وسوف أتناول -بمشيئة الله- في هذا الكتاب الحديث عن نماذج لأسر مسلمة في عهد النبوة، واجهت الطغيان، ودافعت عن عقيدتها، فكُتب لها النصر، ولعقيدتها الخلود.

وقد قسمت كتابي هذا إلى فصلين:

الفصل الأول: منهج الإسلام في مواجهة الطغيان.

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين:

الأول: تضمن تعريف الطغيان لغةً واصطلاحًا.

الثاني: بيَّنت فيه المنهج الإسلامي الذي رسمه القرآن الكريم والسنة الشريفة في مواجهة الطغيان، مع ربط هذا المنهج بالواقع العملي في ذلك الوقت.

الفصل الثاني: أسرٌ مسلمة في وجه الطغيان.

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين أيضاً:

الأول: تحت عنوان: منهج الإسلام في بناء الأسرة المسلمة؛ إذ إنه ما كان ينبغي علينا ونحن بصدد الحديث عن أسر مسلمة في وجه الطغيان أن نغفل الحديث عن كيفية الوصول إلى هذه الأسر؛ وفقًا للمنهج الإسلامي.

وقـد بينـت فيـه دعـوة الإسـلام إلى الـزواج والحـثَّ عليـه، ثـم كيفيـة الاختيـار بـين الأزواج ومعيـار هـذا الاختيـار، ثـم تناولـت الحقـوق والواجبـات المتبادلـة بـين أفـراد الأسـرة، كـل ذلـك بإيجاز شديد.

الثـاني: تحت عنوان: أسر مسلمة في وجه الطغيـان، تناولـت فيـه نماذج لأسر مسلمة في عهد النبوة واجهت الطغيـان، وبذلت في سبيل عقيدتها كـل غـالٍ وثمين؛ مـن نفـس ومـال وولـد، وقـد اقتصـرت في الحديث عـن هـذه النمـاذج على مواقفهـا الجهادية؛ سـواء بـالنفس أو بالمال أو بالكلمة، دون أن أخوض في كل تفاصيل حياتها.

والله أسـأل أن يجعـل عملـي هـذا صـالحًا، ولوجهـه خالصًـا، ولا يجعل لأحد فيه شيئًا: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

المؤلف

إبراهيم عبد الرازق أبو صبرة

الفصل الأول

منهج الإسلام في مواجهة الطغيان

المبحث الأول: الطغيان لغةً واصطلاحًا.

المبحث الثاني: منهج الإسلام في مواجهة الطغيان.

المبحث الأول

الطغيان لغة واصطلاحاً

لقد نهج القرآن الكريم والسنة النبوية منهجًا في مواجهة الطغيان والقضاء عليه، والتزم النبي ﷺ وأصحابه ﵃ بالسير على هدى هذا المنهج، ونتج عن التزامهم هذا، انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وخروجهم إلى البلاد والأقطار المجاورة؛ لإبلاغهم دعوة الحق، وقبل أن نتعرف على هذا المنهج، لا بدَّ لنا من بيان المراد من الطغيان.

أولاً: الطغيان لغة: الطغيان: مادة طغى، يطغى، طغيًا، ويطغو طغيانًا: إذا جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر، وكل مجاوز حدَّه في العصيان طاغٍ.

قال أبو بكر: الطغيان: البغي والكفر، وأنشد:

وإن ركبوا طغياهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم

والطاغوت: كل معبود من دون الله ﷻ.

والطاغوت أيضًا: الشيطان والكاهن، وكل رأس في الضلال.

والطواغي: جمع طاغية، وهي ما كانوا يعبدون من الأصنام وغيرها؛ ومنه: هذه طاغية دوس وخثعم؛ أي: صنمهم.

ويجوز أن يكون الطواغي: مَنْ طَغَى في الكفر وجاوز الحدَّ؛ وهم عظماؤهم وكبراؤهم[1].

ثانياً: الطغيان اصطلاحًا: هو سلب شيء من خصائص الألوهية من الخالق ﷻ ومنحه للمخلوق، فهذا من التعدي على الله سبحانه، ومن التجاوز بالمخلوق فوق الخالق.

وقد ظهر الطغيان في عهد الجاهلية على دربين:

الأول: منح الأصنام حق العبادة من دون الله.

الثاني: منح زعماء المشركين حق التشريع من دون الله تعالى[2].

فهيا بنا نتعرَّف كيف واجه الإسلام هذا الطغيان، وكيف استطاع القضاء عليه.

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة (طغى).

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي دروس وعبر، (١/ ٣/ ٧٣).

المبحث الثاني
منهج الإسلام في مواجهة الطغيان

لقد سار الإسلام في مواجهة الطغيان المنتشر في شبه الجزيرة العربية على خمسة خطوط رئيسية ومتوازية، نوجزها فيما يلي:

أولاً: تفريغ القلوب من عبادة الأوثان:

«فقد حمل الإسلام حملة شعواء على الشرك والوثنية، وعلى الشبهات التي تذرع بها أهل مكة للإصرار على الشرك والوثنية، ودخل عليهم من كل باب، وأتاهم بكل دليل، وحاكمهم إلى الحسن، وضرب لهم أبلغ الأمثال، حتى انتهى إلى أن تلك الآلهة المزيفة لا تقدر أن تخلق -مجتمعة- أقل أنواع الذباب، بل لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شرَّ عادية الذباب؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[1] [الحج: ٧٣].

فالقرآن الكريم انتهج منهج الاستهزاء والسخرية من الأصنام والأوثان المزعومة، واستمر على هذا النهج وأشار إليه في العديد من

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٢٠٢).

الآيات القرآنية ؛ قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

[الأعراف: ١٩١- ١٩٢]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنْظِرُونِ﴾.

[الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

((اشتملت الآيات على نقد عبادة الأصنام، فليست من السبِّ والشتم، وإنَّما هي من النقد المشتمل على بيان حقائق ؛ أن الأصنام عاجزة عن خلق الأشياء من العدم، وأنها لا تستطيع أن تنصر عبادها، ولا نصر أنفسها، وأنها لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، ولا تستطيع إماتة الناس ولا إحياءهم، وأنها لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.. فهذه الحقائق الناصعة، لا يستطيع الكفار أن يجيبوا عنها إلا بالإقرار والاعتراف بصدق ما جاء في القرآن من وصف أصنامهم))[1].

((إنَّ مهمة الداعية الحقيقي، هي: محاولة تفريغ قلوب هؤلاء

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي دروس وعبر، (١/ ٢/ ٧٩).

المستعبدين وتطهيرها من رجس عبادة الأوثان من الأصنام والطغاة؛ وذلك ببيان حقارة الأصنام وعدم تمتعها بخصائص الإنسان العاقل؛ فضلاً عن خصائص الألوهية»[1].

ثانيا: ترسيخ عقيدة الإيمان في القلوب:

لما كان الصراع بين المسلمين والمشركين صراع عقيدة، كان لا بدَّ من ترسيخ هذه العقيدة؛ عقيدة الإيمان في القلوب؛ إذ لا يُعقل أن يدافع الإنسان عن مبدأ أو قيمة إلا إذا آمن بها تمام الإيمان.

ومن هنا كان اهتمام القرآن الكريم في المرحلة المكية بقضية العقيدة، حيث إن معظم آياته تدور حول العقيدة وبنائها وترسيخها في النفوس، وكذا كان اهتمام النبيﷺ بهذه القضية في مكة، فكانت هي شغله الشاغل على مدى ثلاثة عشر عامًا من الدعوة، وكانت هي محور دعوته لبناء جيل يحمل بين جنبيه هذه العقيدة؛ ليتحمل المسؤولية فيما بعد، ويكون أكثر ثباتًا في الصراع الحتمي الذي سيقع بين الحق والباطل.

والعقيدة التي نقصدها هي عقيدة الإيمان الخاص بالله؛ إذ إن الكافر أيضًا لديه عقيدة، إلا أنها فاسدة، ورغم فسادها قد نراه يدافع

(١) انظر: التاريخ الإسلامي دروس وعبر، (١/ ٢/ ٧٥).

عنها ويموت من أجلها! والإيمان يقصد به الإيمان بأركانه الستة، قال تعالى: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾** [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾**.
[البقرة: ١٧٧]

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان، فقال النبي ﷺ عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»(١)، «فهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، وهي الأصول التي بعث بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ونزلت بها الكتب، ولا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعًا، على الوجه الذي دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن جحد منها شيئًا خرج عن دائرة الإيمان وصار من الكافرين»(٢).

وبعد أن تمَّ بناء العقيدة أذن الله للمؤمنين بالهجرة إلى المدينة،

---

(١) رواه البخاري (٥٠).

(٢) انظر: الإيمان.. أركانه، حقيقته، نواقضه: (٥، ٦).

والجهاد في سبيله، فآتت العقيدة الراسخة في قلوبهم ثمارها، فقد ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، قال: قيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قَتَل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ آبَاءَهُمْ﴾: في الصديق أبي بكر، همَّ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾: في مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾: في عمر قتل قريبًا له يومئذ أيضًا، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ[١].

وهكذا وجدنا العقيدة تقضي على كل وشيجة أو صلة، ولو كانت صلة الرحم والقرابة، ولا تبقي إلا وشيجة واحدة ورابطة واحدة؛ هي: رابطة الإيمان، الذي يجمع بين أفراده، ويجعلهم أسرة واحدة في مقابل الكفر.

وثمة مثال آخر يدلنا على عظم هذه العقيدة وأثرها في أصحابها، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «... فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير: (٣/ ٤٧٥).

«لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: **«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»**.

قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: **«نعم»**، قال: بخ بخ! فقال رسول الله ﷺ: **«ما يحملك على قولك بخ بخ؟!»**، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: **«فإنك من أهلها»**، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! قال: فرمى بما معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل»[1].

تُرى هل رأى عمير الجنة؟!

فما السر الذي دفع عمير إلى الموت وهو راضٍ؟! بل وهو سعيد بالموت؟!!

إن هذا السر هو الإيمان، هو اليقين والثقة فيما عند الله، فعلى هذه العقيدة تربى هذا الجيل العبقري الفريد في تاريخ الإسلام، فواجهوا الطغيان وحطموا قيوده.

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية: (٢٤١).

ثالثًا: تحرير العقول من تبعية طغاة البشر:

إنَّ الطغاة من زعماء قريش في ظل هذه الوثنية قد تمتَّعوا بالعديد من الصلاحيات والمزايا؛ فلهم حق التشريع، وسنُّ القوانين، وهم أصحاب الرأي السديد، مهابون في قومهم، يُنْظَرُ إليهم بعين التعظيم والإجلال، مُطَاعُون في كل ما يأمرون به؛ لأنهم لا يخطئون؛ لذا كان لا بدَّ من بيان مظاهر الضعف والتناقض في قرارات هؤلاء الزعماء، وإظهار مدى ضآلة عقولهم؛ ليتحطم كبرياؤهم، ولتتطهر النفوس الضعيفة من اعتقاد عظمتهم وقدسيتهم.

لذا؛ خاطبهم القرآن بألفاظ وعبارات فيها تَسْفِيهٌ لأحلامهم، وتوبيخ لمعتقداتهم؛ قال تعالى: ﴿**قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ**﴾ [الزمر: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ◆ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ**﴾. [النمل: ٨٠، ٨١]

«ولما عاندوا واحتجوا بما كان عليه آباؤهم، نعى عليهم أن يمتهنوا كرامة الإنسان إلى هذا الحضيض من الذِّلة للأحجار والأصنام، فسفَّه أحلامهم وأحلام آبائهم، الذين أهملوا النظر في أنفسهم وفي آيات الله وفي الآفاق؛ فقال تعالى: ﴿**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ**

يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]؟! وقبَّح إليهم الجمود على هذا التقليد الأعمى للآباء والأجداد))(١).

((وإنَّ ما قام به رسول الله ﷺ من تحرير عقول الناس من تبعية طغاة البشر، قد أتاح لهم فرصة عظيمة من التفكير والإبداع في هذه الحياة، فليس أمام المؤمنين من يطلبون رضاه ويجتنبون سخطه إلا الله تعالى، ثم هم بعد ذلك يتحركون غير مقيدين بالخضوع لبشر مثلهم))(٢).

رابعًا: تحرير القلوب من الخوف:

وكما حرر الإسلام عقول أتباعه من التبعية لطغاة البشر، فكذا حرر قلوب أتباعه من الخوف على الرزق والمال، ومن الخوف على النفس والولد.

فالمسلم مطمئن على رزقه؛ لعلمه أن الرزق بيد الله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، ولعلمه أنه لن يموت إلا بعد أن يستكمل رزقه وأجله، فعلام الخوف من الفقر والجوع ما دمنا نركن إلى الله ﴿الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾؟!

وكذلك يحرر الإسلام أتباعه من الخوف على المال؛ فالمال مال الله، والأغنياء مستخلفون في هذا المال، ففرض عليهم الزكاة وحبب إليهم الإنفاق.

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: (١/ ٢٠٢)، بتصرف يسير.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي دروس وعبر: (١/ ٢/ ٨٤).

والمؤمن الصادق لا يدَّخر وسعًا في الإنفاق في سبيل الله ؛ لأنه يؤمن بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وهكذا وجدنا عثمان بن عفان يضرب لنا أروع المثل في الإنفاق في سبيل الله، فيجهز جيش العسرة من ماله، وقد يُتساءل: كيف هان عليه المال بهذا الشكل؟!

والإجابة تكون بكلمة واحدة: إنها العقيدة فيما عند الله.

وفي طبائع البشر أن الإنسان كلما ازداد غنى ازداد حرصًا على المال، وخوفًا من ضياع هذا المال، فيصبح أسيرًا لهذا المال، وكذلك الفقير قد يكون أكثر حرصًا على المال، وهو في ذلك قد يكون لديه ما يبرر به حرصه، ولكننا ندهش عندما نجد الإنفاق في جيش العسرة، حيث شارك الجميع ؛ الغني والفقير ((تسابق المسلمون في إنفاق الأموال والصدقات)).

كان عثمان بن عفان قد جهز عيرًا للشام ؛ مائتي بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائة أوقية، فتصدق بها، ثم تصدق بمائة بعير بأقتابها وأحلاسها، ثم جاء بألف دينار فنثرها في حجره ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يقبلها، ويقول: **((ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم))**.

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية فضة، وجاء أبو بكر بماله كله!! وتتابع الناس بصدقاتهم؛ قليلها وكثيرها، حتى كان منهم من أنفق مدًّا أو مدين لم يكن يستطيع غيرها، وبعثت النساء ما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلاخل وخواتم»(١).

ومن قبلُ يضرب لنا صهيب الرومي أروع المثل في التحرر من الخوف على المال، فعندما أراد الهجرة وكان في الطريق اعترضه جماعة من مشركي مكة، وقالوا له: أتيتنا صعلوكًا فقيرًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت ما بلغت، والآن تريد أن تنطلق بنفسك ومالك، والله لا يكون هذا أبدًا!

وهنا يدور الصراع بين الإسلام وبين المال، فينتهي الصراع لصالح الإسلام، «فما المال وما الذهب وما الدنيا كلها إذا بقي له إيمانه وإذا بقيت لضميره إرادته وسيادته»(٢).

وكما حرر الإسلام أتباعه من الخوف على الرزق والمال، حررهم أيضًا من الخوف على النفس والولد؛ حيث يؤمن بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، ويقول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾. [آل عمران: ١٥٤]

---

(١) انظر: الرحيق المختوم: (٤٨٦، ٤٨٧).

(٢) انظر: رجال حول الرسول: (١٣٢).

لـذا نجـدهم أصـحاب العقيـدة، شـجعانًا في مواجهـة الباطـل، لا يخشونه، ولا يهابون سطوته، فها هي السيدة سمية وزوجها ياسر بـن عـامر يضـربان أروع المثـل في التحـرر مـن الخـوف علـى الـنفس والولد، فقد أوشكا على الموت فلم يتراجعا عن موقفهما من دينهما، ورغم ما شاهداه أمام أعينهما من تعذيب ولدهما إلا أنهما لم ينثنيا عن عزمهما وماتا على الحق.

وهـا هـو خبيـب بـن عـدي يرحـب بـالموت في سـبيل الله، وفي سـبيل هـذا الـدين، فعنـدما وقـع أسيرًا في أيـدي كفـار قـريش، وأجمعـوا قتلـه، قـال لهـم خبيـب: دعـوني أصـلي ركعـتين، فتركـوه، فركـع ركعـتين، فقـال: والله لـولا أن تحسـبوا أن مـا بـي جـزع لـزدت، ثـم قـال: اللـهم أحصـهم عـددًا، واقتلـهم بـددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلـك في ذات الإلـه وإن يشـأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[1]

وفي آخـر لحظـة مـن لحظـات حياتـه يحـاول الكفـار أن يحصـلوا منـه على كلمـة ترضـي غـرورهم وكبريـاءهم، فيسـألونه أيسـرك أن محمـدًا

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية: (٣٢٠).

عندنا نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: لا والله، ما يسرني أني في أهلي وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه[1]!!

وإننا وإذا كنا قد ضربنا أروع الأمثلة في تحرر الفرد من الخوف على المال والنفس والولد، وذلك في صورته الفردية.. فليس أروع ولا أبلغ من هذا التحرر في صورته الجماعية؛ حيث تحرر المجتمع بأسره من الخوف على المال والنفس والولد؛ وذلك عندما جاء وفد الأنصار يبايعون رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية، وكانوا سبعين رجلاً وامرأتين، ونُبرز هذه الصورة من خلال هذين الموقفين الآتيين:

الموقف الأول:

((قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ، قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتل.. أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما وعدتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف.. فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة)).

(١) انظر: الرحيق المختوم: (٣٢٧).

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ قال: ((الجنة))، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده، فبايعوه[1].

الموقف الثاني:

((موقف أسعد بن زرارة؛ حيث قال في بيعة العقبة: رويدًا يا أهل يثرب؛ فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، إما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيبة فتبينوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يدك يا سعد! فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا ولا نسلبها أبدًا))[2]!

إن هذين الموقفين ليدلان على مدى تمكن العقيدة من نفوس هؤلاء المبايعين ومدى تحررهم من الخوف على المال والنفس والولد، كل هذا في مقابل سلعة واحدة رضوا بها ثمنًا لتجارتهم؛ ألا وهي الجنة، ((ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة))[3].

إن وراء هذا التحرر عقيدة قوية، وإيمانًا راسخًا لا يتطرق إليه

---

(١) انظر: سيرة بن هشام: (٢/ ٩٢، ٩٣).

(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية (١٥١).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٠)، وقال: هذا حسن غريب، لا نعرفه إلا من أبي النضر.

شك، إيمان بالله وبما عنده من جزيل الثواب، إيمان بالجنة وأنها حق، وليست أسطورة أو خيال كما كان يزعم كفار قريش، أنها حقيقة مؤكدة كأنهم يرونها رأي العين من وراء حجب الغيب.

ولا يسعني إلا أن أورد هنا تعليقًا للدكتور الغضبان على هذين الموقفين، يقول: لقد اندفع هؤلاء السبعين ﷺ باندفاع عجيب وحماس هائل، يبايعون رسول الله بيعة الحرب، ولو كان ثمنها حرب الأحمر والأسود والناس، ومفارقة العرب كافة، وأن تعضهم السيوف، وقتل الأشراف، وفناء الأموال، دون أن يكون لهم ثمن واحد إلا الجنة، فلا منصب ولا وزارة ولا حكم، وهكذا وُجد هذا الجيل الفريد في التاريخ، جيل العطاء لا الأخذ، جيل الفداء لا الكسب، وبأمثال هذه النماذج تُبنى الأمم ويتغير التاريخ)).

خامساً: غرس روح الجهاد في النفوس:

لقد غرس الرسول ﷺ في نفوس أصحابه روح الجهاد، حتى إنه ما كان هناك شيء أحب إلى نفوسهم -بعد الله ورسوله- من الجهاد في سبيل الله.

((ولما كان الجهاد له منزلة عظيمة في الإسلام، فهو ذروة سنامه.. فقد ربط الإسلام بين الجهاد وصدق النيَّة، فعن رسول الله ﷺ أنه

قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[1]، وإعلاءً لقيمةِ النيَّة، فقد منح الله أجر الشهادة لمن طلبها بصدق ولو لم يقاتل، فقال ﷺ: «**من سأل الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[2]!

ويجعل الإسلام من علامات نفاق المرء ألا يغزو ولا يحدِّث نفسه بالغزو، فعنه ﷺ أنه قال: «**من مات ولم يغز ولم يحدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من نفاق**»[3]!

ثم تتكرر دعوة الإسلام لأتباعه إلى الجهاد في سبيل الله؛ بالنفس أو بالمال أو باللسان، وحثِّهم على التخطيط المحكم، واستخدام الحيل والخداع في معاركهم ضد أعدائهم.

ففي مجال الجهاد بالنفس:

أشارت آيات عديدة في القرآن الكريم إلى قتال الأعداء والتغليظ في قتالهم؛ قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**﴾ [التحريم: ٩].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٥٨)، أحمد (٣/ ٣٩٧).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩/ ١٥٨)، وأحمد (٥/ ٢٢٤).

(٣) رواه مسلم (١٩١٠/ ١٥٨).

وكما أشار القرآن إلى ضرورة قتال الأعداء وأمر به، فإنَّ السنة النبويَّة -أيضًا- حثَّت على الجهاد في سبيل الله ودعت إليه؛ قال ﷺ: ((**لَغُدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**))(١).

وقال ﷺ: ((**إنَّ الجنَّة تحت ظلال السيوف**))(٢).

وقال ﷺ: ((**من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة**))(٣).

وفي مجال الجهاد بالمال:

وجدنا الدعوة الصريحة في القرآن للمسلمين إلى الجهاد في سبيل الله بالمال، فقال تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**﴾ [التوبة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**﴾ [النساء: ٩٥].

ولعلك تجد مدى اهتمام القرآن بالجهاد بالمال، فقدَّمه على الجهاد بالنفس، وليس ذلك إلا لأهمية المال في مجال مواجهة الطغيان، فبه تجهز الجيوش، وبه تُعَدُّ العدد، وبه تجهز المؤن، وبدونه يتوقف الجهاد؛ لذا فقد تكفَّل الله لمن ينفق في سبيله بأن يرد إليه ما ينفق، فقال: ﴿**وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾. [الأنفال: ٦٠]

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٢)، وأحمد (٣/ ١٣٢).

(٢) رواه البخاري (٢٨١٨)، وأحمد (٤/ ٣٥٣).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٤٤٦)، والترمذي (١٦٥٠) وحسنه.

وقد بالغ الإسلام في الجهاد بالمال، فمنح المنفقين في سبيل الله أجر المجاهدين بأنفسهم وإن لم يحاربوا، فعنه ﷺ قال: ((**من جهَّز غازيًا فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا**))[1]، وقال ﷺ: ((**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**))[2].

وأمّا الجهاد باللسان:

فقد نبَّه إليه الرسول ﷺ ودعا إليه أصحابه، فقال: ((**جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم**))[3]، والإسلام يُعلي من شأن الجهاد باللسان، ويجعله أعلى منزلة من الجهاد بالنفس أو بالمال، فجعل صاحبه إذا مات به سيد الشهداء، فعنه ﷺ أنه قال: ((**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**))[4].

وأمر الإسلام أتباعه باستغلال ما لديهم من طاقات وقدرات في حال الحرب مع الأعداء، فأمرهم بالإعداد والتخطيط حتى قبل بدء المعارك وخوضها، فقال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، ونبَّه إلى ضرورة استخدام المخادعة في

(١) رواه البخاري (٢٨٤٣)، وأحمد (١/ ٢٠، ٣٥)، (٥/ ١١٧، ١٩٢).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٤٢)، وأبو داود (٢٥٠٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٥)، وقال: ((صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)).

الحروب، فعنه ﷺ أنه قال: «**الحرب خدعة**»(١)، وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه: كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها(٢).

ولا مانع من استخدام سلاح المخابرات والتجسس على الأعداء؛ فعند الحاكم: أن رسول الله ﷺ أرسل طلحة وسعيد بن زيد يتجسسان خبر عير قريش(٣).

ومن أجل ترسيخ حب الجهاد في النفوس؛ فقد أشار القرآن الكريم والسنَّة النبوية إلى عظمة درجة الشهادة عند الله، فقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ◆ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٩، ١٧٠].

وعنه ﷺ أنه قال: «**وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها**»(٤)، وعنه ﷺ أنه قال: «**عينان لا تمسهما النار؛ عينٌ**

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣)، وأحمد (٣/ ٢٩٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩٤٧)، وأحمد (٣/ ٤٥٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣٨).

(٤) رواه البخاري (٢٨٩٢)، وأحمد (٥/٣٣٩).

بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تَحْرسُ في سبيل الله»[1].

وعلى هذا المنهج الإسلامي في مواجهة الطغيان، تربَّى هذا الجيل الفذُّ من الصحابة ﷺ، فهانت عندهم الدنيا، وكان الموت لديهم أحب من الحياة، تحرِّكهم عقيدة قوية راسخة رسوخ الجبال، ووقفت الأسرة المسلمة مترابطة في وجه الطغيان، فجاهدته وحاربته بالمال وباللسان وبالسلاح، وبكل ما أُوتيت من قوة، وانطلاقًا من عقيدتها التي جمعت بين أعضائها، تلك العقيدة التي ما إن استقرت في النفس، إلا وتركت آثارها على صاحبها، ومن ثم على المجتمع الذي يجمع بين أفراده عقيدة واحدة.

إذن.. فما هي العقيدة؟ وما آثارها على الفرد والمجتمع؟

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩).

الفصل الثاني

أسر مسلمة في وجه الطغيان

المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء الأسرة المسلمة.

المبحث الثاني: أسر مسلمة في مواجهة الطغيان.

المبحث الأول

منهج الإسلام في بناء الأسرة المسلمة

الأسرة أساس المجتمع

إن المجتمع بناء مكون من أسر؛ والأسرة هي وحدة بناء هذا المجتمع؛ لذا يعتبر الإسلام وحدة الأسرة هي المحور الأساسي للتماسك داخل المجتمع؛ حيث إن أعمق وأقوى صور التماسك في كل مجتمع هي صور التماسك الأسري التي تشمل في حدها الأدنى تماسك الزوجين والإخوة والأخوات، فضلاً عن الوالدين والأولاد، والأخ وأخيه... إلخ.

لذلك يمكن التعرف على خصوصية أي مجتمع عن طريق التعرف على العلاقات الأسرية فيه، فالمجتمع يفقد قوته عندما يفشل أفراده في القيام بواجباتهم الأسرية.

ولما كانت الأسرة هي أساس المجتمع؛ فإن عملية بناء الأسرة تعتبر نقطة أساسية وجوهرية لأي إصلاح على مستوى صغير أو كبير؛ لذا احتل نظام الأسرة في الإسلام موقعًا أساسيًّا إلى حد أن جزءًا كبيرًا من القرآن والسنة قد خصص لبناء هذه الوحدة الأساسية في المجتمع، كذلك فإن التشريعات التي تنظم عملية بناء الأسرة في

الإسلام قد جاءت مكتملة إلى حد أننا نجد في كتب العقيدة والفقه الإسلامي مادة وفيرة جدًّا حول هذا الموضوع.

دعوة الإسلام إلى الزواج:

ولما كانت الأسرة هي وحدة بناء المجتمع الإسلامي فقد حث الإسلام على الزواج وتكررت دعوته إلى ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾.
[النور: ٣٢]

وهذه الدعوة الصريحة إلى الزواج تحمل في ثناياها تكريمًا للأسرة؛ حيث حدد فيها الإسلام كيف تكون علاقة الرجل بالمرأة، واحترم فيها الإسلام ما جبل عليه الرجل والمرأة من غريزة، فعمل على تقنين هذه العلاقة في إطار شرعي، ونظام اجتماعي يضمن سلامة المجتمع من العديد من المشاكل التي يتعرض لها حتمًا عندما نترك لتلك الغريزة الزمام، بل تعمل على هدم بنيانه وتقويض أواصره، وانهياره بأكمله.

بل ولقد بالغ الإسلام في التشديد على التزاوج وبناء الأسر؛ حينما قرر رسول الله ﷺ أن الزواج سنة من سننه، ومن رغب عنها؛ استهتارًا بها وتقليلاً من شأنها أو حتى مبالغة في العبادة.. فليس من الرسول ﷺ في شيء، وذلك في الحديث الذي أورده الإمام البخاري عن أنس بن مالك قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها! فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ، فقال: **«أنتم قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[1].

وهكذا تكررت دعوة الرسول ﷺ في الحضّ على الزواج، فيقول: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أحصن للفرج وأغض للبصر، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»**[2].

---

(١) انظر: أحمد (٣/ ١٣٤١)، والبخاري (٥٠٦٣).

(٢) رواه أحمد (١/ ٤٣٢)، والبخاري (٥٠٦٦)، والباءة؛ أي: الزواج.

«ولقد سار السلف الصالح على سنة نبيهم ﷺ ؛ فكان عمر كثير التحريض على الزواج حتى لفقراء المسلمين، فكان يقول: ابتغوا الغناء في الباء، وكان يتلو قول الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢]

وكان رضي الله عنه إذا رأى رجلاً عزباً أنّبه، ورماه بألفاظ تثير حفيظته؛ ليسعى إلى الزواج، فقد رأى أبا الزوائد وقد تقدمت به السن، فقال له عمر: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور»[1]!

(١) الأسرة في ضوء الكتاب والسنة (٥٦).

منهج الإسلام في اختيار الأزواج

أولاً: اختيار الزوجة:

لقد بيَّن الرسول ﷺ منهج الإسلام في اختيار الزوجة، فقال ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[1]، فالرسول ﷺ لا ينكر أن تُنكح المرأة لمالها، أو حسبها، أو جمالها، ولكنه يشترط الدين أساسًا في كل هذه الحالات، وإلا تربت يداك ولصقت بالفقر.

وهناك رأي حول مفهوم «ذات الدين»، إن مفهوم ذات الدين اليوم وبين كثير من الشباب المقبل على الزواج أصبح مفهومًا مشوشًا؛ حيث أصبحت ذات الدين بالنسبة لهم تتمثل في المظهر الخارجي فحسب، من ثياب وزينة وما شابه ذلك، وما إذا كانت على علاقة بأحد الشباب من ذي قبل أم لا، فإن كان الجواب بالنفي، فهي ذات الدين التي يبحث عنها!

وربما يرجع هذا التشويش في مفهوم ذات الدين إلي القيم التي يُربى عليها الشباب الآن.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٨)، والبخاري (٥٠٩٠).

وإنني أرى ذات الدين التي كان يقصدها الرسول ﷺ، والتي يجب أن نربي عليه فتياتنا ؛ هي المرأة المسلمة العارفة بأمور دينها، العارفة بحقوق زوجها وواجباتها تجاه زوجها، وذلك حتى تصبح المرأة خير متاع، كما قال ﷺ: «**الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة**»[1]، وهي المرأة التي أشار إليها الحديث الشريف ؛ قال ﷺ: «**ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؛ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته**»[2].

إنها المرأة التي إذا خرج زوجها في الصباح تقول له: اتق الله فينا، ولا تطعمنا من حرام، فإنا نصبر على الجوع، ولا نصبر على حرِّ جهنم.

إنها المرأة التي تصبِّر زوجها في الشدائد، وتقف بجانبه وهي قوية الإيمان، ثابتة العقيدة ؛ كزوجة أبي طلحة عندما مات ولده فتزينت له وتهيأت، فلما سألها عن ولده قالت: قد استراح، ولما فرغ من حاجته إليها قالت له: أرأيت إن استودعك أحد أمانة ثم طلبها ؛ أكنت معطيه إياها؟ قال: نعم، قالت: فإن الله استودعك أمانة ثم

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٧/ ٥٩).

(٢) رواه أبو داود (١٦٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٣)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

أخذها، لقد مات ولدك، فذهب أبو طلحة مغاضبًا يشكوها إلى رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما**».

إنها المرأة التي تُذكِّر زوجها إذا نسي، وتدفعه إلى الطاعة؛ «فعن محمد بن سيرين قال: تزوجت امرأة من بني تميم، فلما كانت ليلة البناء (الزفاف) دخلت عليها فإذا هي جالسة على باب خدرها، فأهويت إليها بيدي، فقالت: مهلاً على رسلك، فحَمدَت الله وأثنت عليه، ثم قالت: إن الله ﷻ يضع العلم حيث يشاء، وبلغني أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلي ركعتين وتصلي المرأة خلفه، فإذا فرغ قال: اللهم بارك لي في أهلي وبارك لأهلي فيَّ، اللهم ارزقني منهم وارزقهم مني، اللهم ارزقني ألفتهم وارزقهم ألفتي ومودتي، وحبب بعضنا إلى بعض.

قال ابن سيرين: فقمت فتوضأت، ففعلت ذلك، فلما فرغت أهويت إليها، فقالت: مهلاً على رسلك، إن الرجل إذا أراد غشيان أهله؛ يدعو قبل ذلك فيقول: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ولا تجعل له فينا نصيبًا.

قال ابن سيرين: ففعلت ذلك، فلم أزل أعرف بعد ذلك إلا الألفة واللطف والخير.

ويشرق الصباح في البيت على رزق ساقه الله إلي هذا البيت في شخص عروس تملك من قوة الإرادة ما تستعلي به على أحداث الزمان، وما تنضم به إلى ركب الأسرة التي صارت عضوًا فيها، لا حربًا عليها، وفي الوقت الذي تصرخ فيه الشهوة طالبة الإشباع تسلكها الحكمة البالغة على لسان زوجة صالحة مصلحة، وملكة غير متوجة»[1]!

إننا بحاجة إلى مثل هؤلاء النساء في حياتنا؛ حتى يدفعننا إلى الطاعة وإلى العمل الصالح والسعي، ويوفرن لنا في المنزل جوًّا من الهدوء والدَّعة، ينعم فيه الأبناء بحياة مستقرة.

وإنني لا أكاد أبالغ حينما أقول: إن الأساس والركيزة الرئيسية في بناء الأسرة إنما هي المرأة؛ «فالأب وإن كانت مسؤوليته في خارج البيت أكثر، فالأم مسؤوليتها داخل البيت أكثر وألزم؛ ولهذا يلزم إعدادها؛ لأنها هي التي ستعد الأجيال وتخرج الأبطال»[2].

والواقع يؤكد ذلك، فكثيرًا وجدنا من الرجال من تخلى عن دوره الأسري وانحرف عن طريق الجادة وعاش حياة اللهو والعبث، فوقفت الأم المسلمة المثابرة إلى جانب أبنائها؛ ترعاهم وتدفعهم إلى

---

(١) مقال بعنوان: زيارة إلى بيت النبوة، نقلاً عن مجلة الأزهر، د. محمد عمارة، رجب ١٣٢٣هـ، سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٢م، الجزء (٧)، السنة (٧٥).

(٢) نساء داعيات (١٦٣).

طرق المجد، حتى بلغت بهم منتهى آمالها، ولولا الخوف من تجريح بعض الشخصيات لذكرت العديد من هذه القصص، أما عندما تتخلى الأم عن دورها فإننا لم نجد من يقوم بدورها ويملأ فراغها؛ «فالواقع يشهد في كل مكان أنه لا يقوم بدور الأم إلا هي، مهما ادعى المدعون وحاول المحاولون»[1]!

ثانيًا: اختيار الزوج:

لما كان الإسلام لا يرى فرقًا بين ذكر وأنثى، فكما وضع الرسول ﷺ منهجًا لاختيار الزوجة، كذلك وجدناه يرسم لولي الأمر منهجًا لاختيار الزوج لابنته؛ حيث قال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض**»[2].

وعلى هذا المنهج سار السلف الصالح؛ فها هو الحسن البصري يسأله رجل: جاءني خطيبان لابنتي؛ أحدهما غني، ولكنه ليس على خلق، والآخر فقير، ولكنه ذو دين، فلمن أزوجها؟

فقال له الحسن: زوجها لذي الدين، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

وعلى معيار الدين أقام السلف الصالح وفقهاء المسلمين كفاءة

---

(١) نساء داعيات (١٦٢).

(٢) رواه الترمذي (١٠٨٥).

الزوج، «عن عبد الله بن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب (عالم قريش المخزومي) فتفقدني أيامًا، فلما أتيته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها، قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟! فقال: أنا، فقلت: وتفعل؟!! قال: نعم، فحمد الله تعالى وصلى على النبي وزوجني على درهمين، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، وانصرفت إلى منزلي؛ فأسرجت، وكنت صائمًا، فقدمت عشائي لأفطر، فإذا بابي يُقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، قال: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم يُر لأربعين سنة إلا بين داره والمسجد، قال: فخرجت إليه، فإذا به سعيد بن المسيب، فقلت: يا أبا محمد، لو أرسلت إليَّ لأتيتك، فقال: لأنت أحق أن تؤتى، فقلت: فما تأمرني، قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت، فكرهت أن أبيِّتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه، ثم دخلت، فإذا هي من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج، وكانت بنت المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن

مروان الخليفة الأموي لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه؛ إذ قدم كفاءة الدين على غيرها))[1].

وإن كلام ابن وداعة عن صفات زوجته الجديدة لَيؤكد ما ذهبتُ إليه آنفًا من مفهوم ((ذات الدين))، فقد وصفها بأنها ((أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسوله ﷺ، وأعرفهم بحقوق الزوج))، وهذه الأمور هي الأساس الذي يجب أن نربي عليه فتياتنا حتى يصبحن في بيوت أزواجهن مصابيح الظلام ونور الدياجير، وحتى يجددن للإسلام سابق عهده، ويلدن له خالدًا وسعدًا وطلحة والزبير وغيرهم.

كما تشير هذه الرواية إلى مدى التزام السلف الصالح بمعيار الدين كأساس في بناء الأسرة، فلك أن تتخيل أسرة جمعت بين قطبيها (الزوج والزوجة) عقيدة واحدة، ورسالة واحدة، وهدف واحد، ومنهج واحد، هل تجدهم يعانون مما نعاني منه من مشاكل أسرية ومشاحنات ومفارقات بين الأزواج؟! بل تخيل معي الثمرة من هذا التوحد المتمثلة في الذرية، إنهم بلا شك أبناء صالحون، يسيرون على درب أبويهم، ويحملون على أعناقهم الأمانة؛ أمانة الرسالة، وهم

(١) انظر: الأسرة في ضوء الكتاب والسنة (٦٨، ٦٩).

على استعداد للتضحية بكل غالٍ وثمين من أجل تبليغ هذه الأمانة، تحركهم تلك العقيدة التي رأوها أمام أعينهم في أسرتهم التي عاشوا فيها، فرسخت في نفوسهم، ونقشت على جدران قلوبهم، وامتزجت بدمائهم!

حقوق وواجبات أسرية

أولاً: حق الزوجة على الزوج:

منح الإسلام المرأة حقوقًا على زوجها، وهذه الحقوق منها ما هو معنوي، ومنها ما هو مادي، فمن حقوقها المعنوية على زوجها؛ حق الإصلاح والتقويم؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا**»[1].

حيث نلمح من هذا الحديث إشارة لطيفة من الرسول ﷺ إلى تقويم المرأة، ولا يكون هذا التقويم إلا برفق وحسن معاملة، وإلا انكسر الضلع! كما نلمح هذا الحق أيضًا في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾. [التحريم: ٦]

فالوقاية من النار لا تكون إلا بالإصلاح والتقويم.

ومن حقوقها المعنوية أيضًا: حسن العشرة، فقال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٦)، وأحمد (٢/ ٤٤٩).

فإن ساء الرجل من زوجته خلق شفع لها عنده خلق آخر، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يفرك مؤمن من مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**»[1]، كما حثَّ الإسلام على الصبر على الزوجة وعلى التغاضي عن بعض أخطائها، حتى وإن كرهها: ﴿**فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾.

أما عن الحقوق المادية، فقد جعل لها الإسلام حق قضاء غريزتها، فالإسلام دين الفطرة يعلي شأنها ويلبي رغباتها، ولكن في إطارها السليم الذي حدده في نظام الزواج، ثم سنَّ لنا رسول الله ﷺ سننًا تُتبع لقضاء هذه الفطرة؛ إذ حرص على احترام الإنسان المسلم لآدميته، فندب إليه إذا هيأت له المرأة نفسها أن يقول: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»[2]، كما سنَّ للرجل أن يستاك ويتزين لزوجته كما تتزين هي له.

وكذلك من الحقوق المادية للمرأة على زوجها: حق الإنفاق، فعليه أن يطعمها إذا طعم وأن يكسوها إذا اكتسى، فعن حكيم بن معاوية عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: ما لزوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب**

(١) رواه مسلم (١٤٦٩/ ٦٣)، أحمد (٢/ ٣٢٩).

(٢) رواه البخاري (٥١٦٥)، أحمد (١/ ٢٤٣).

الوجه، ولا تقبح ولا تهجر البيت))[1].

وعلى الرجل ألا يمتن على الزوجة أو يعيرها بما ينفق عليها؛ لأن هذا من صميم مسؤوليته، وعليه أن يحتسب ما أنفقه على زوجته وأولاده.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**إذا أنفق المسلم نفقه على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة**)).

كما أن على المرأة ألا ترهق زوجها ولا تكلفه فوق طاقته وقدرته: ﴿**لَاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾.

ومن حق الزوجة على زوجها أن يحتفظ لها بمالها؛ سواء أكان مالاً أعطاه لها، أم آل إليها بالميراث من زوجها، فليس له أن يأخذ من مالها شيئًا إلا برضاها، وعقد الزواج لا يعطيه حق التصرف أو التملك لأموالها، بل ليس له أن يأخذه بسيف الحياء! والأصل في هذا الحق المالي قول الله تعالى: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾ [النساء: ٣٢][2].

ثانيًا: حقوق الزوج على زوجته:

إن من أعظم حقوق الزوج على زوجته: حفظه في العرض والولد والمال.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣)، وأبو داود (٢١٤٢).

(٢) المرأة المسلمة: (١٢٣).

قال رسول الله ﷺ: ((**فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم من تكرهون**))(١).

وقال ﷺ: ((**ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؛ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته**))(٢).

فالمرأة مطالبة بحفظ زوجها في أسمى وأعظم ما يملك؛ ألا وهو عرضه ونسبه، فتصون نفسها وجسدها ولسانها وعينها عما حرَّمه الله، فتصون نفسها التي بين جنبيها، فلا تشغلها حتى بالتفكير في شخص آخر لا يحل لها شرعًا أن تنشغل به، وتصون جسدها فلا تأتي بفاحشة مبينة، فلا يحق لأحد الاستمتاع بها إلا زوجها، وتصون لسانها عن التفحش والتبذء في الكلام، وعينها عن النظر إلى ما حرمه الله.

وكذلك تحفظه في ولده ونسبه، فلا تدخل عليه نَسَمة ليست له، وتدسها بين أبنائه، وتشارك أبناءه في الميراث بعد وفاته!

وبعد ذلك تتعهد أولاده بالتربية الإسلامية الصحيحة؛ ملتزمة المنهج الإسلامي القويم في تربية الأبناء، لا سيَّما وأن المرأة هي شريك الرجل في المسؤولية تجاه أبنائهم.

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١).

(٢) رواه أبو داود (١٦٦٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٣)، وقال: ((صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)).

وأما حفظه في المال، فالمرأة مطالبة بأن تحافظ على مال زوجها بتدبير أمرها، فلا إسراف ولا تبذير، وإنما تنفق على قدر حاجتها، وعليها أن تعتبر هذا المال أمانة وهي مسؤولة عن هذه الأمانة.

كما أن من حقوق الزوج على زوجته الطاعة، فالمرأة مطالبة بطاعة زوجها؛ وبيَّن ذلك الرسول ﷺ حيث قال: «**وإذا أمرتها أطاعتك**»؛ وهي مطالبة بطاعة زوجها في كل شيء ما لم تكن فيه معصية؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وعلى الزوج المسلم ألا يستغل هذا الحق استغلالاً سيئًا، فيطالبها بأوامر قد تخرج عن إرادتها وقدرتها، أو فيها أذى له ولأسرته وأولاده، وعليه ألا ينظر إلى زوجته أنها مجرد أَمَة يأمرها ويتحكم فيها، ويلغي عقلها وفكرها، بل ويلغي إنسانيتها، إنما عليه أن يشاورها ويشاركها في أمره، ويحترم عقليتها وتفكيرها، ويصلا معًا في أمور حياتهما على أساس المشاركة إلى قرار سليم.

وعلى المرأة المسلمة أن تعي أنها بهذه الطاعة تتقرب إلى الله ﷻ، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها**».

تشمل الطاعة أيضًا طاعة الزوجة للزوج في الوفاء له بحقوق

الزوجية، فيجب عليها إذا دعاها إلى فراشه أن تلبي وهي راضية غير متجهمة أو عابسة، وإنها إن لم تفعل فقد أغضبت عليها ربها، قال ﷺ: ((**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح**)).

حق الأبناء على الآباء:

إن أول حق من حقوق الأبناء على الآباء هو أن يولدوا في ظل أسرة كريمة، من نكاح صحيح لا من سفاح؛ لذا كان رسول الله ﷺ يقول: ((**وُلدت من نكاح لا من سفاح**)).

كما أن للأبناء على آبائهم أن يحسنوا اختيار بعضهم البعض، فالأب يحسن اختيار الزوجة التي ستصبح أمًّا لأبنائه، وكذلك الزوجة عليها أن تحسن اختيار الزوج الذي سيصبح أبًا لأبنائها، وأن يكون معيار الاختيار كما أشرنا هو معيار الدين، هذا بالإضافة إلى حقهم في توفير المسكن والملبس والمأكل.

وأما أعظم الحقوق لهم على الآباء فهو ما أقرة الله ﷻ في كتابه العزيز؛ حيث قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

فهذه الآية الكريمة هي وصية الله تعالى للآباء أن يحسنوا إلى أبنائهم،

والإحسان إليهم يكون بوقايتهم من النار، «وتكون الوقاية بأن يُعلّم أهله وولده الحلال والحرام، ويجنبهم المعاصي والآثام؛ قال ﷺ: «**ما نحل والدٌ ولدًا أفضل من أدب حسن**»[1]، وقال ﷺ: «**مروا صبيانكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[2][3].

وها هو ﷺ، يضرب لنا أروع المثل في تطبيق هذه الآية، حينما يأخذ الحسين بن علي تمرة من تمر الصدقة وجعلها في فيه، قال ﷺ: «**كخ كخ؛ ارم بها، أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة**»[4].

وحديث آخر عن عمر بن أبي سلمة، قال رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[5]، قال: فما زالت تلك طعمتي بعد.

وتدرك من هذين الحديثين كيف كان منهج النبي ﷺ في تربية النشء المسلم الذي سيحمل المسؤولية فيما بعد، وها هو عمر بن أبي سلمة وكيف أثمر هذا التوجيه النبوي فيه؛ حيث قال: ما زالت هذه طعمتي بعد.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥٢)، ومجمع الزوائد (٨/ ١٦٢).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٨٠)، وأبو داود (٤٩٥).

(٣) انظر: البيت المسلم معقل العقيدة (٢٨).

(٤) رواه البخاري (٣٠٧٢).

(٥) رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢/ ١٠٨).

إن واجب التربية يقع على عاتق الأبوين معًا، فالمسؤولية مشتركة بينهما، وعليهما أن يؤديا هذا الواجب، وإلا يقف الابن بعد ذلك في وجه أبيه قائلاً له بعد ما كبر: عققتني صغيرًا، فلم أبرك كبيرًا، ولم تبرني طفلاً، فلم أرحمك شيخًا.

وفي هذا المقام -مقام وقاية النفس والأهل والولد من النار- أود أن أورد هذه القصة، لعلنا نتبين منها كيف كان منهم الصحابة ﷺ لمسؤوليتهم، وكيف كان قيامهم بها.

لما نزل قوله تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال أبو الدحداح: «فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله استقرضنا وهو غني عن القرض؟! قال: «**نعم، يريد أن يدخلكم الجنة به**»، قال أبو الدحداح: فإني إن أقرضت ربي قرضًا يضمن لي به ولأم الدحداح ولصبياني معي الجنة؟! قال: «**نعم**»، قال أبو الدحداح: فناولني يدك، فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتين؛ إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله تعالى، قال رسول الله ﷺ «**اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك**»، قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، قال: «**إذًا يجزيك الله به الجنة**».

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح ومعها صبيانها تدور تحت نخل، فأنشد يقول:

هداك ربي سبيل الرشاد ... إلى سبيل الخير والسداد
بيني من حائط الوداد ... قد مضى قرضًا إلى التناد
أقرضته الله على اعتمادي ... بالطوع لا منٍّ ولا ارتداد
إلا رجاء الضِّعف في المعاد ... فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك خير زاد ... قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشدت تقول:

بشرك الله بخير وفرح ... مثلك أدى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح ... بالعجوة السوداء والزهو
والعبد يسعى وله ما قد كدح ... طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها؛ تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي ﷺ: **((كم من عَذقٍ رداح ودار فياح لأبي الدحداح))**[1].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٨، ٢٣٩)، نقلاً عن أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع (٨١/ ٨٣).

حق الآباء على الأبناء:

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ◆ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

لقد جمعت كلمة الإحسان إلى الوالدين كل حقوق الآباء على الأبناء، فكلمة الإحسان هي كلمة جامعة لكل خصال الخير، فيحسن الأبناء إلى الآباء في الكلام، فلا فحش ولا تبذء ولا سوء أدب، حتى وإن كان بكلمة «أف»، وكذلك تشمل الإحسان إليهما بالعمل؛ فيقضي حوائجهما المادية من طعام وشراب وغير ذلك عند حاجتهما، على حسب طاقته، كما تشمل الكلمة الحسنة عليهما، وخفض جناح الذل من الرحمة لهما.

والإسلام عندما يعلن حقوق الوالدين يجعلها فرض عين على كل مسلم، فيقول تعالى: ﴿وَقَضَى﴾؛ أي: حكم، وما دام الله قد حكم فلا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه؛ ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾. [الأنعام: ٥٧]

وقد قرن الله بين عبادته وبر الوالدين في الآية الكريمة، كما قرن في موضع آخر بين شكره وشكر الوالدين؛ ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾. [لقمان: ١٤]

وكذلك نجد الإسلام يربط برَّ الوالدين بعقيدة المسلم الحريص على رضا ربه، فالمسلم يحسن إلى أبويه، ليس لأنهما ربياه أو تحملا في سبيله الأذى.. بل لأنه مأمور من الله بذلك؛ لذا نبه الله على هذا المعنى، فعقب سبحانه بقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾. [الإسراء: ٢٤]

وإننا لنعجب أشد العجب حينما يقدم النبي ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، فقد روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد وأبتغي الأجر من الله تعالى، فقال: «**هل لك من والديك أحد؟**»، قال: نعم، كلاهما، قال: «**فتبتغي الأجر من الله تعالى؟**»، قال: نعم، قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة إلى وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٢)، فقدم النبي ﷺ برَّ الوالدين على الجهاد في سبيل الله.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/ ٢٣٨، ٢٣٩)، نقلاً عن أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع (٨١/ ٨٣).

(٢) نفس المصدر.

وقد بالغ الإسلام في قضية بر الوالدين، فأوجب على الأبناء أن يبروا آباءهم وإن كانوا على الشرك، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: أأصلها؟ فقال: «نعم»[1].

وتمتد حقوق الآباء على الأبناء حتى من بعد وفاتهم، فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر الوالدين شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: **«نعم، الصلاة عليهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»**[2].

وهكذا نجد البر بالوالدين يمتد ليشمل صلة الرحم وصلة الأصدقاء، وبذلك المفهوم تكون علاقة الأسرة المسلمة بغيرها، فتخرج من حيز البيت إلى حيز المجتمع المترابط المتواصل؛ مما يعمل على قوة المجتمع المسلم وتماسكه، والذي صوَّره الرسول ﷺ بقوله: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص؛ يشدُّ بعضه بعضًا»**[3].

ويهذا البناء تكون الأسرة المسلمة جاهزة لمواجهة الصعاب وتحي الطغيان.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٢/ ٦٨٢).

(٣) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥/ ٦٥).

المبحث الثاني
أسر مسلمة في وجه الطغيان

أسرة الرسول ﷺ

لقد كانت أسرة الرسول ﷺ في طليعة الأسر المسلمة التي واجهت الطغيان بكافة أشكاله، ولا غرابة في ذلك؛ فهذه الأسرة هي صاحبة الرسالة التي اختصها الله ﷻ بها، لما أوحاه الله إلى رسوله ﷺ من الرسالة، ولا أحد يجهل ما تعرَّض له رسول الله ﷺ من إيذاء وصدٍّ في سبيل دعوته، كما لا يجهل أحد كيف واجه رسول الله ﷺ إعراض قومه وطغيانهم؛ سواء بالكلمة أو بالمال أو بالسلاح.

وإنَّنا إذا أطلقنا لأنفسنا العنان للحديث عن مواجهة الرسول ﷺ وأسرته للطغيان، فإنَّ الأمر سيطول بنا إلى أن نؤلف في ذلك مُؤلفًا خاصًّا بهذا الموضوع، ولكنني آثرت الحديث عن هذه الأسرة العظيمة، معطيًا نبذة بسيطة عنها؛ لذا فقد وقع اختياري على زوجة واحدة من زوجات النبي ﷺ، وهي أم أبنائه؛ السيدة خديجة بنت خويلد ﵂، وكذا الحديث عن بناته رضي الله عنهنَّ.

وقبل أن أتناول هذه الأسرة أود أن أنوِّه إلى حادثة بعينها ؛ لعلَّنا ندرك من خلالها عظمة هذه الأسرة ودورها في مواجهة الطغيان.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزلت ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: «**يا صباحًا**»! فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ؟**»، قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**فإنيٌ نذير لكم من بين يدي عذاب شديد**»، قال أبو لهب: تبًّا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟! فنزلت الآية»[1]!!

وإنني أتساءل: كيف كان شعور النبي ﷺ إزاء هذا الردِّ من عمه أبي لهب؟! وكيف بلغ به هذا الردُّ من الحزن والأسى؟!

إنه -بلا شك- قد أحزن رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا، لا سيَّما أن أصحاب الرسالات والدعوات دائمًا في حاجة إلى مناصرين يناصرونهم، ومؤيدين يؤيدونهم، وأكبر الظن أن يكون هؤلاء الأنصار والمؤيدون من أهلهم وأرحامهم، أما أن يصبح أقرب الناس إليه هو أشد الناس عداوة له، بل وفي أول لقاء له مع الناس.. فهذا أمرٌ يؤدي إلى عميق الحزن وعظيم الأسى.

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠، ٤٩٧٢).

وعلى ضوء هذا الموقف أتساءل: كيف كان الحال لو أن الله ﷻ لم يقيض لرسول الله ﷺ زوجة مثل السيدة خديجة؟! أو كيف لو أنه لم يجد من يناصره من أهل بيته؟!

ولكن شاءت عناية الله برسوله ﷺ أن يكفيه مؤنة هذا الأمر، فقيَّض له السيدة خديجة؛ لتكون خير معين وخير مؤيِّد.

ويبدأ دور السيدة خديجة رضي الله عنها منذ اللحظة الأولى من لحظات الوحي.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء؛ فيتحنث فيه ويتعبد الليالي ذواتى العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «**ما أنا بقارئ**»، قال: «**فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ◆ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ◆ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ◆ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ◆ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ◆ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ◆ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ◆ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ**

الرُّجْعَى ◆ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ◆ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ◆ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ◆ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ◆ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ◆ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ◆ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ◆ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ◆ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ◆ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ◆ كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾))[العلق].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: ((**زملوني، زملوني**))، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْع، فقال لخديجة -وأخبرها الخبر-: ((**لقد خشيت على نفسي**))، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أُسيد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءًا تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ ((**أو مخرجيَّ هم؟!**))، قال: نعم، لم يأت رجل

قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي[1].

ونلمح من هذه الرواية كيف كان التصرف الرشيد من السيدة خديجة ﵂، حيث استطاعت بفطنتها وذكائها أن تستوعب ما ألمَّ برسول الله ﷺ من خوف شديد مما رآه من الوحي، حتى إنه ليخشى على نفسه، فتطمئنه السيدة خديجة بقولها: كلا والله، ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فاتخذت من صفات رسول الله ﷺ ومن مكارم أخلاقه -التي نادرًا ما تجتمع في شخص واحد- سببًا لئلا يخزيه الله أبدًا، وهكذا يجب أن نتعامل مع الآخرين في لحظات الضعف البشري أو الخوف أو الانكسار، علينا أن نهدئ من روعهم وأن نذكِّرهم بمكارم أخلاقهم، حتى كانت هذه وصية رسول الله ﷺ لمن يشهد إنسانًا يُحتضر، فعليه أن يذكره رحمة ربه ومحاسن أخلاقه وطيب عمله؛ مما يهون عليه ما هو فيه.

ثم بعد ذلك تُسرع السيدة خديجة فتأخذ زوجها إلى أهل العلم؛ لتتبين حقيقة الأمر، فتذهب به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فيسوق إليهما أعظم خبر سمعاه في حياتهما.

---

(١) رواه البخاري (٣).

ثم تأتي نبوءة ورقة بن نوفل، تلك النبوءة القائمة على علم سابق من الكتب السماوية؛ ألا وهي إخراج قومه لرسول الله ﷺ، ويتعجب من ذلك رسول الله ﷺ قائلاً: «**أو مخرجيَّ هم؟!**»، فيردُّ ورقة قائلاً: لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عُودي.

ورغم هذه النبوءة، ورغم هذا الإعلان بعَداء قومه له ولرسالته، فإنَّ السيدة خديجة رضي الله عنها تُعلن إسلامها وإتباعها لرسول الله ﷺ؛ لتكون بذلك أول من آمن بمحمد ﷺ على الإطلاق، رغم علمها أنه قد يصيبها أذى وألم، إلا أن ذلك لم يثن عزمها أو يضعف من همَّتها، بل تقف بجوار رسول الله ﷺ بمالها ونفسها مواسية له، تخفف عنه ما يجده من ألم الصدِّ من قومه.

فعن رسول الله ﷺ؛ لما قالت له عائشة: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين! هلكت في الدهر، وقد أبدلك الله خيرًا منها! قال: «**والله ما أبدلني الله خيرًا منها؛ آمنت بي إذ كفر الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس**»[1]!

وهكذا؛ يتبين لنا من هذا الحديث الدور الذي قامت به السيدة خديجة رضي الله عنها في حياة رسول الله ﷺ، وفي خدمة الإسلام ومواجهة

(١) رواه البخاري (٣٨٢١).

الطغيان، فقد آمنت برسول الله ﷺ، فكان إيمانها تحدِّيًا واضحًا وصريحًا للطغيان، وفيه مفارقة الأهل والأقارب، وواسته بمالها، وخففت عنه آلامه وأحزانه.

قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ لا يسمع شيئًا يكرهه؛ من ردٍّ عليه وتكذيب له فيحزنه، إلا فرج الله عنه بخديجة رضي الله عنها؛ إذا رجع إليها تثبته، وتخفف عنه، وتهون عليه، «وهكذا أصحاب الرسالات، يحملون قلوبًا شديدة الحساسية، ويلقون غبنًا بالغًا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادًا كبيرًا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفية، وكانت خديجة سبَّاقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة الرسول ﷺ أثر كريم»[1].

وإنَّ المطَّلع على مصادر السيرة النبوية لا يجد ذكرًا للسيدة خديجة بعد رواية ابن إسحاق السابقة؛ حيث «صمتت مصادر السيرة النبوية عن ذكر أية حادثة محددة طيلة عشرة أعوام من البعثة، حتى لقيت وجه ربها، ويدلنا هذا الصمت على أمر هام جدًّا؛ هو أنها رضي الله عنها قطعت علائقها الاجتماعية وصلاتها العامة بالناس، وتفرغت للنبي المصطفى ﷺ، تؤدي أعظم رسالة في الوجود في بيته، وتحيا كل

(١) انظر: فقه السيرة (٨٠).

حياتـه، إنهـا تـذوب فيـه وفي تحقيـق آمالـه ورغباتـه، فقـد انقطعـت خديجة رضي الله عنها عن كل ما حولها من أهل الأرض؛ نسوة ورجالاً، بعد النبـوة، وتفرغـت لحبيبهـا المصـطفى؛ تشـد أزره، وترعـى حاجتـه، وتكون بلسم جراحه، وزوال ألمه ونصبه، وذلك بعد أن كانت نجم نساء مجتمعها، ومطمح آمال الرجال في النساء»[1].

ولعـل مـن أبرز مواقـف السيدة خديجة رضي الله عنها، والـتي تـدل علـى طيـب أصـلها وكـريم خلقهـا وعقيـدتها الثابتـة قبـل كـل شـيء؛ هـو موقفهـا مـن المقاطعـة، فحينمـا حبسـت قـريش رسـول الله ﷺ وأصـحابه في شِـعب أبـي طالب ثلاث سنوات شاركته السيدة خديجة هذا الحصار، وكـان مـن الممكـن للسيدة خديجة أن تحتمي بمالها ومكانتهـا، وتكتفـي بأن ترسـل للمحاصـرين أطايـب الطعـام، ولكنهـا المبـادئ الـتي لا تتجـزأ، والقـيم الـتي لا تخضـع للمساومة، وإنها العقيـدة الـتي يضـحي مـن أجلـها الإنسـان بكـل مـا يملـك.. هي التي دفعتها أن تشارك زوجها في محنته، وتتعرض لما يتعرض له.

وإنني أرى أن الثبات أمام الطغيان رغـم قوتـه وضـراوته؛ لـهو أكبر هزيمة للطغيان، فليس شرطًا كي ينتصر الحق علـى الطغيـان أن يـدخلا في معركة حاسمة، إنما ينتصر الحق على الطغيان عندما يفشل الطغيـان بكـل مقوماته في القضاء عليه، وعندما يستمر الحق في طريقه ولا يحيد عنه.

---

(١) انظر: المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية القيادية (١/ ٧٧).

«أما بناته الطاهرات عليهن السلام؛ زينب، ورقية، وأم كلثوم.. فكلهنَّ أدركن الإسلام، وكن مع أمهن سيدة نساء العالمين؛ خديجة بنت خويلد، في طليعة أسبق السابقين إلى ساحة الإيمان بهﷺ نبيًا ورسولاً.

قال الزرقاني في شرح المواهب: ولم يذكر بناته أيٌّ في السابقين؛ لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهديه وسيرته.

وقد روى ابن إسحاق عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: لما أكرم الله نبيه بالنبوَّة، أسلمت خديجة وبناتها، وفي رواية عنها قالت: أسلمت رقية حين أسلمت أمها خديجة، وبايعت حين بايع النساء، وأسلمت أم كلثوم حين أسلمت أخواتها، وبايعت معهنَّ.

أمَّا فاطمة ﵂ فقد ولدت في أصح الروايات بعد البعثة، ونشأت على الإسلام والتقى»[1].

وهكذا.. تتكون أول أسرة في تاريخ الإسلام؛ أسرة النبوة، ويسلم كل أفرادها لله رب العالمين، وفي إسلام هذا البيت تحدٍّ واضح وصريح للطغيان، وتقوية لرسول اللهﷺ؛ إذ أنَّه نجح في وضع اللبنة الأولى في المجتمع المسلم؛ وهي الأسرة المسلمة.

---

(١) انظر: محمد رسول الله: (١/ ٥١٢، ٥١٣).

ويدرك الطغيان هذه الحقيقة، فيحاول أن يهدد كيان هذه الأسرة، ويعلن الحرب عليها، حيث طلب أبو لهب من ابنيه؛ عتبة وعُتيبة، أن يطلّقا بنتي رسول الله ﷺ؛ وهما: السيدة رقية، والسيدة أم كلثوم، وكانا لم يدخلا بهما بعد، فيفعلان مكيدة في رسول الله ﷺ، ولكن شاءت عناية الله بهما خيرًا، فأبدلهما بهما عثمان بن عفان؛ حيث تزوج السيدة رقية، ثم وافتها المنية عقب معركة بدر الكبرى، فيتزوج من أختها أم كلثوم، والتي ماتت هي الأخرى في العام الثامن من الهجرة.

ولما تعرَّض المسلمون لأذى قريش وتعذيبهم أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أول بيت هاجر في سبيل الله في الإسلام هو بيت عثمان بن عفان مع زوجته رقية، ثم يعود إلى مكة من الهجرة الأولى إلى الحبشة، وما يلبث هذا البيت أن يهاجر ثانية إلى الحبشة في الهجرة الثانية ومنها إلى المدينة المنورة، كل هذا وهو يتحمل البعد عن الأهل والأحباب وعن الرسول ﷺ، فضلا عمًّا في الغربة من آلام وصعاب.

أمَّا السيدة فاطمة ﵂ فذات يوم تسمع بأذنيها القوم يتآمرون على رسول الله ﷺ: «فأقبلت ابنته فاطمة ﵂ تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو

قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك»[1]!

فكيف كان إحساس فاطمة رضي الله عنها وهي تسمع تآمر القوم على أبيها؛ حتى ليعرف كل رجل منهم نصيبه من دم أبيها؟!

ومن مواقفها رضي الله عنها أنها لما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على رأسه ﷺ التراب، فدخل بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله ﷺ يقول لها: «**لا تبك يا بنية، فإنَّ الله مانعٌ أباك**»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فيضعه على كتف محمد إذا سجد! فانبعث أشقى القوم؛ وهو عقبة بن أبي مُعيط فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه!

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٠٣، ٣١٨)، وصححه الشيخ شاكر (٢٧٦٢).

(٢) انظر: الرحيق المختوم: (١٣٣).

قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر، لو كان لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم[1].

وفي غزوة أحد؛ لما رأت السيدة فاطمة الدماء تسيل على وجه رسول الله ﷺ سارعت إليه واعتنقته، وجعلت تمسح الدماء عن وجهه، ورسول الله ﷺ يقول: «**اشتد غضب الله على قوم دمّوا وجه رسول الله**»[2].

أمّا السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ؛ فكانت قد تزوجت من أبي العاص بن الربيع، وأسلمت، ولكن زوجها رفض الإسلام، وشارك في غزوة بدر مع قريش، ووقع أسيرًا للمسلمين، فأرسلت زوجته زينب بنت رسول الله ﷺ بقلادة كانت عندها لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص، فلما رآها رقَّ لها رسول الله ﷺ، فطلب من القوم أن يطلقوا سراح أبي العاص، ولكنه اشترط عليه أن يخلي سبيل زينب؛ فخلاّها.

وقد لاقت عناءً شديدًا في هجرتها إلى المدينة، قال ابن إسحاق: «فلما فرغت من جهازها، قدَّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيرًا

---

(١) رواه البخاري (٢٩٣٤)، ومسلم في الجهاد (١٧٩٤).

(٢) انظر: دلائل النبوة (٣/ ٢٨٣).

فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهارًا يقود بها وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود الفهري، فروَّعَها هبار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً -فيما يزعمون- فطرحت!

وبرَّك حموها كنانة، ونثر كنانته، ثم قال: والله، لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان في جِلَّة من قريش فقال: يا أيها الرجل، كف عنا نبلك حتى نكلمك، فكفَّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا (يريد مصيبة قريش في بدر) ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلٍّ أصابنا، وأن ذلك ضعف منا ووهن، ولعمري، ما لنا بحبسها من أبيها حاجة، وما لنا من ثؤرة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أنَّا قد رددناها؛ فسُلَّها سرًّا، وألحقها بأبيها))[1].

وهذه الرواية تبيِّن لنا مدى معاناة السيدة زينب ﵂؛ فهي أولاً

(١) حياة الصحابة (١/ ٣٧٠، ٣٧١).

عانت من مفارقة زوجها لدينها، فما كان أجمل عندها من أن يتبع زوجها دينها ويعلن إسلامه!

وعانت عندما هاجر أبوها وأخواتها وظلت وحيدة في مكة تحت رجل ما زال على كفره، مع الأخذ في الاعتبار أنه لم يهنها، بل أكرمها، وها هي تعاني في رحلة هجرتها إلى أبيها، وتتعرض لأذى سفيه من سفهاء قريش يروعها حتى تسقط ما في بطنها! كل ذلك في سبيل الحق، وفي سبيل دعوة الحق، فلله درُّ هذه الأسرة الطيبة!!

وإننا -ونحن بصدد الحديث عن أسرة الرسولﷺ- ما كان ينبغي لنا أن نغفل دور اثنين من أفراد هذه الأسرة؛ لما لهما من دور بارز في مواجهة الطغيان، وقد ارتبطا بهذه الأسرة ارتباطًا شديدًا؛ وهما: على بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، رضي الله عنهما.

أما ارتباط عليٍّ بهذه الأسرة؛ فلكونه ابن عمِّ النبيﷺ، ولكونه ربيب بيتهﷺ، فقد كان صبيًّا يعيش في كفالة الرسولﷺ، ولكونه زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها.

وأمَّا عن دوره في مواجهة الطغيان؛ فقد بدأ منذ أمد بعيد، منذ كان صبيًّا في بيت رسول اللهﷺ، فاعتنق الإسلام رغم هذه السن المبكرة، فكان أول من أسلم من الصبيان، فعن زيد بن أرقم

رضي الله عنهم قال: أول من صلّى -وفي لفظ: أول من أسلم- مع رسول الله ﷺ عليٌّ[1].

وكان عليٌّ فدائيًا من طراز فريد؛ فقد نام على فراش النبي ﷺ في ليلة الهجرة إلى المدينة؛ مما سهَّل على رسول الله ﷺ عملية الخروج من مكة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «شرى[2] عليٌّ نفسه، ولبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي ﷺ، فجعلوا يرمون عليًّا ويرونه النبي ﷺ»[3]!

وهو رضي الله عنه بهذا العمل يضحي بحياته من أجل حياة النبي ﷺ وهو غير مكترث ولا عابئ بما قد يصيبه من الأعداء، وكان بهذا العمل عاملاً من عوامل نجاح الهجرة.

ثم لحق علي رضي الله عنه بالنبي ﷺ في المدينة، وبدأت المعركة الحاسمة بين معسكر المسلمين في المدينة وبين معسكر الطغيان في مكة، فكان عليٌّ جنديًا من جنود الإسلام، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد، وأبلى بلاءً حسنًا في جهاده مع الطغيان.

ففي غزوة بدر؛ عن علي قال: «تقدم -يعني: عتبة بن ربيعة-

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٦٨)، والترمذي (٣٧٣٥)، والحاكم (٣/ ١٣٦).

(٢) شرى: باع.

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٤)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وابنه وأخوه، فنادى: من يبارز، فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنَّما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث**»، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلتُ إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان؛ فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم مِلْنا على الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة»[1].

فاستحق بذلك أن ينزل فيه قرآن يتلى؛ «فعن قيس بن عبادة قال: وفيهم أنزلت: ﴿**هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ [الحج: ١٩]، قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر؛ حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة»[2].

«وفي غزوة أحد؛ ظن علي أن رسول الله ﷺ قد رفع، فكسر جفن سيفه، ثم حمل على الأعداء، فانفرجوا له، فرأى رسول الله ﷺ، وكان قد قال: فما في خير من أن أُقاتل حتى أقتل»[3]! وفي هذا ما يدلنا على شجاعته ﷺ وحُسن بلائه في الجهاد.

«وفي غزوة الأحزاب: تبارز علي بن أبي طالب وعمرو بن عبد وُدٍّ؛ فقتله علي بن أبي طالب ﷺ».

---

(١) انظر صحيح السيرة النبوية (٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق (٣٠٣ - ٣٠٤).

وفي غزوة خيبر؛ قال رسول الله ﷺ: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً، يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، فبات الناس يذكرون أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعطاها، فقال: «**أين عليٌّ بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له بخير، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية[1].

وفي هذه الغزوة، قَتَل عليٌّ بن أبي طالب مِرْحبًا اليهودي ملكهم.

فعن سلمة بن الأكوع قال: وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب　　　شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال عليٌّ:

أنا الذي سمتني أمي حيدره　　　كلَيْثِ غابات كريه المنظره

أوفّيهم بالصاع كيل السندره

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[2].

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (٤٤٢)، وصفة الصفوة (١/ ١٢٦).

(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية (٤٤٤).

فاستحق رضي الله عنه أن يقول عنه ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**»[1].

أمَّا عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فقد ارتبط بأسرة النبي ﷺ عن طريق النسب والمصاهرة، فقد تزوج من السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وهاجر بها إلى الحبشة، ثم ماتت بعد غزوة بدر بقليل، فتزوج من السيدة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، ثم ماتت في السنة الثامنة من الهجرة.

ولقد واجه عثمان بن عفان الطغيان بما توفرً لديه من قدرات وطاقات، فقد كان ينفق من ماله الخاص على تعبئة الجيوش، ففي غزوة العسرة؛ عن عبد الرحمن بن خباب السلمي قال: خطب النبي ﷺ فحثً على جيش العسرة، فقال عثمان: عليًّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حثً، فقال عثمان: عليًّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها: «**ما على عثمان من عمل بعد هذا**»[2].

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهَّزَ النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فصبَّها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «**ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم**»، يرددها مرارًا[3].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٢٧).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: صحيح السيرة النبوة (٥٨٦).

«وكان رسول الله ﷺ قد انتدب عثمان بن عفان؛ ليذهب إلى قريش، وذلك في بيعة الرضوان؛ ليخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت، معظمًا لحرمته، وقد قال ابن عمر رادًّا على من سأله: هل تعلم أنه -أي عثمان- تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدها؟ فقال ابن عمر: نعم، فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه»[1].

وهكذا وجدنا عثمان خير من يمثل أمته ويعبر عن قضيتها؛ لما اتَّصف به من صفات وميزات ميزَّته عن غيره، فطبق النبي ﷺ مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب، والعرب تقول: أعط القوس باريها، ويظل عثمان يكافح من أجل الحق.. من أجل الإسلام.. إلى أن يُقتل في الفتنة، فرضي الله عنه وأرضاه.

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٢٠).

أسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

إنَّها من أعرق الأسر في تاريخ الأمة المسلمة ؛ أسرة أبي بكر الصديق ، تلك الأسرة ذات النضال العريق والكفاح العظيم ضد قوى الطغيان والباطل ، وقفت هذه الأسرة في وجه الطغيان بكل ما أُوتيت من قوة ؛ بالكلمة تارة ، وبالمال تارة أخرى ، وبالتخطيط والحيلة تارة ، وبالمواجهة المسلحة تارة أخرى.

ففي مجال المواجهة بالكلمة ؛ روى الحافظ ابن كثير، عن عائشة قالت : ((لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثمانين رجلاً ، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ بالظهور ، فقال ﷺ : **((يا أبا بكر ، إنا قليل))** ، فلم يزل يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرَّق المسلمون في المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس ، فكان أول خطيب دعا إلى الله ورسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ؛ فضربوهم في نواحي المسجد ضربًا شديدًا ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، يحرفهما حتى نزل على بطن أبي بكر ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه))[1] !!

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٣/ ٢٩).

وفي مجال مواجهة الصديق أبي بكر للطغيان بالكلمة أيضًا؛ ما رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «... فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك؛ إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا، كما كان يبلغهم عنه من آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «**نعم، أنا الذي أقول كذلك**»، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم آخذ بمجمع ردائه، قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه، يقول -وهو يبكي-: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟!»[1].

وثمة صورة أخرى من صور مواجهة الصديق للطغيان بالكلمة؛ وتمثلت في دعوته رضي الله عنه الأفراد والأشخاص إلى الإسلام، قال ابن إسحاق: «وكان أبو بكر رجلاً مألوفًا لقومه ومحببًا سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛ لعلمه وتجارته وحُسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله

(١) رواه البخاري (٣٦٨٧)، وأحمد (٢/ ٢١٨).

وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، وأسلم على يديه فيما بلغني: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام؛ فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الثمانية[1] الذين سبقوا إلى الإسلام، وصدقوا الله ورسوله، وآمنوا بما جاء من عند الله))[2].

وهكذا وجدنا الصدِّيق أبا بكر داعية إلى الإسلام، يدعو بلسانه رجال قومه؛ لينضموا إلى قافلة الإسلام، وتنجح دعوته، فينضم شباب ذوو حسب ونسب في قومهم، فكانوا للإسلام بمثابة قوَّة ضاربة.

وكذلك وجدنا من بين أفراد هذه الأسرة من واجه الطغيان بالكلمة؛ ((فها هي السيدة أسماء في عهد الحجاج وقد بلغت من العمر مبلغًا، تقف في وجه الحجاج دون أن تهابه أو تخاف سطوته، وذلك عندما دخل عليها الحجاج بعد قتل ولدها عبد الله، قال لها: يا أمه، إن أمير المؤمنين وصاني بك! فهل لك من حاجة؟ قالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية! وما لي من حاجة، ولكن أحدثك؛ سمعت رسول الله ﷺ

(١) هم الخمسة المذكورون والذين سبقوهم: علي وزيد بن حارثة وأبو بكر الصديق.

(٢) انظر: حياة الصحابة (١/ ١٨٦).

يقول: «**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**»، أمَّا الكذاب: فقد رأيناه[1]، وأمَّا المبير: فأنت»[2].

وفي مجال المواجهة بالمال؛ عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: «كان أبو بكر معروفًا بالتجارة، لقد بُعث النبيﷺ وعنده أربعون ألف درهم، فكان يعتق منها ويقري المسلمين، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل ما كان يفعله بمكة»[3].

«وذات يوم يمرُّ أبو بكر ببلال بن رباح وهو يُعذَّب ببطحاء مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ، فاشتراه أبو بكر بغلام أسود، وقيل: بسبع أواقٍ أو خمس من فضة، وأعتقه»[4].

«وفي رواية: أنه اشتراه بخمس أواقٍ ذهبًا، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناك، فقال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته»[5]!!

وعند الحاكم: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جُلدًا يمنعونك

---

(١) تعني: المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان ذا فصاحة وشجاعة وقلة دين.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ١٢٨).

(٤) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣١٧، ٣١٨).

(٥) انظر: صفة الصفوة (١/ ٩٩).

ويقومون دونك؟! فقال أبو بكر: يا أبت، إنَّما أريد ما أريد[1].

ويُبْرِزُ لنا ردَّ أبي بكر هدفه من وراء هذا الإنفاق؛ إنَّه لم يقصد بذلك الشهرة والدنيا، إنَّما أراد الله والدار الآخرة، واثقًا بموعود الله، وبما عنده.

«وعندما يهاجر الصديق أبو بكر مع رسول الله ﷺ، يأخذ ماله كله معه، ويأتي أبو قحافة؛ ليطمئن على ما تركه الصديق لأبنائه، فيكون هذا التصرف الرشيد من السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما؛ فعن أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله؛ خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قال: فدخل علينا جدِّي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه! قالت: كلا يا أبت، إنه ترك خيرًا كثيرًا! قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة ببيت كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن! وفي هذا لكم بلاغ! قالت: لا والله، ما ترك لنا شيئًا، ولكن أردت أن أسكن الشيخ»[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر: ابن هشام (١/ ٤٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٠).

فبهذا التصرف من السيدة أسماء استطاعت أن تسكن غضب الشيخ، وتسكن من حدته، والتي لو أثارتها السيدة أسماء بغير هذا التصرف، لما حمدت عواقبها، فربما بهذه الحدة والثورة ينتبه الغافل عن خروج النبي ﷺ وصحبه مهاجرين إلى المدينة ويجدُّ في الحصول عليهما.

وإن من أروع أشكال مواجهة الطغيان هو ما قام به أفراد هذه الأسرة العريقة في حادث الهجرة النبوية إلى المدينة؛ حيث اتحدت فيه عناصر هذه الأسرة المتمثلة في أبي بكر الصديق، وابنه عبد الله، وابنته أسماء، ومولاه عامر بن فُهيرة، اتحدت فيه هذه الأسرة لتقوم بالدور المنوط بها من قبل النبي ﷺ؛ ليضمن نجاح هذه الهجرة، آخذًا بالأسباب.

فالصديق أبو بكر هو الرفيق والصاحب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((... فجاء رسول الله ﷺ واستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي ﷺ: ((**أخرج من عندك**))، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: ((**فإني قد أُذن لي في الخروج**))، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: ((**نعم**))، فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين، قال رسول الله ﷺ: ((**بالثمن**))[1]!

وكانت مهمة عبد الله بن أبي بكر هي جمع المعلومات والأخبار

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥).

عن قريش وتبليغها للرسول ﷺ، ومهمة عامر بن فهيرة هي الرعي بالغنم؛ غنم أبي بكر (لله درك يا أبا بكر! حتى غنمك شاركت في حادث الهجرة!!) ليزيل الآثار، ويمد الرسول ﷺ وصحبه باللبن ليشربا؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمِنَا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسَحَر، فيصبح مع قريش كبائت، فلا يسمع أمر يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل، وهو لبن منحتهما»(١).

وكانت مهمة أسماء هي إعداد الطعام، وشاركتها في ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة قالت: «فجهزناهما (الراحلتين) أحثَّ الجهاز، وصنعت لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فربطت به على فم الجراب؛ فلذلك سميت ذات النطاق»(٢).

وبهذه الخطة المحكمة التي رسمها رسول الله ﷺ، والتي استغل فيها كل الطاقات البشرية المتوفرة لديه، ووزَّع فيها الأدوار توزيعًا يتناسب

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٢) المرجع السابق.

مع كل فرد من أفرادها.. كتب النجاح للهجرة النبوية، وكتب الخلود لتلك الأسرة المسلمة التي واجهت الطغيان بكل ما أُوتيت من قوة.

وبعد الهجرة النبوية إلى المدينة، تستأنف هذه الأسرة مسيرتها في مواجهة الطغيان؛ فتدخل في مواجهة مباشرة بالسلاح، «فلقد شهد أبو بكر بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ودفع رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكانت سوداء»[1].

ففي غزوة بدر؛ عن عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله القبلة، ثم مدَّ يديه؛ فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجزني ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربه؛ مادًا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه! فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك»[2].

وفي غزوة بدر كان أبو بكر قد نُدب ليكون حرسًا على عريش رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣/ ٢١٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، وأحمد (١/ ٣٠ - ٣٢).

وبعد وفاة النبي ﷺ، خاض أبو بكر حروب الردة ضد المتنبئين ومانعي الزكاة، وعندما اعترض عليه عمر بن الخطاب؛ محتجًا بحديث رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوها، فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم**»، فردَّ عليه أبو بكر قائلاً: إلا بحقها، وإن من حقها الزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وها هي «السيدة أسماء بنت أبي بكر تشهد معركة اليرموك مع زوجها الزبير بن العوام»(١).

وها هو «عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يعذب ببطحاء مكة؛ ليرجع عن دينه فيأبى، وشهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة»(٢).

وبعد هذه الرحلة الطويلة من الكفاح ضد الطغيان، يكون الرضا من الله لأبي بكر، فيبشره -سبحانه وتعالى- بقرآن يُتلى إلى يوم القيامة قائلاً: ﴿**وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ◆ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ◆ وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾ [الليل: ١٩- ٢١].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٨).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٧٨).

أسرة الزبير بن العوام رضي الله عنه

لقد آثرت الحديث عن هذه الأسرة بعد أسرة الصديق رضي الله عنه لما بين هاتين الأسرتين من ارتباط بسبب النسب، وقد ضمت أسرة الزبير بن العوام بين أعضائها السيدة صفية عمة النبي ﷺ، والسيدة أسماء بنت أبي بكر؛ ذلك العضو النشط في الأسرة السابقة، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم.

فما هو الدور الذي قام به أفراد هذه الأسرة في مواجهة الطغيان؟

في البداية، أود الحديث عن دور السيدة صفية رضي الله عنها، وموقفها يوم الخندق، قال ابن إسحاق: «كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع؛ حصن حسان بن ثابت، وكان حسان فيه مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمرَّ بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في غور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إن أتانا آتٍ.

قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا يهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله، ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من

يهود، وقد شُغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: والله، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا!

قالت: فاحتجزت، ثم أخذت عمودًا، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته، ثم رجعت إلى الحصن، وقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة»[١]!

«وقد كان لهذا الفعل المجيد من عمة رسول الله ﷺ أثر عميق في حفظ ذراري المسلمين ونسائهم، ويبدو أن اليهود ظنُّوا أن هذه الآطام والحصون في منعة من الجيش الإسلامي، مع أنها كانت خالية عنهم تمامًا»[٢]!

أمَّا السيدة أسماء؛ فقد سبق الحديث عنها كعضو في أسرة الصديق ﷺ، ورأينا كيف واجهت الطغيان مع هذه الأسرة، وهي الآن أصبحت عضوًا في أسرة جديدة، فتستمر في مواجهتها للطغيان، فإن كانت الأسرة قد تغيرت فإن العقيدة والمبادئ لم تتغير، فهي ثابتة ثبوت الجبال، «فنجدها تشهد معركة اليرموك مع زوجها وولدها عبد الله بن الزبير»[٣]، ونجدها تدفع ابنها إلى مواجهة الطغيان، غير عابئة

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢٨/ ٢٢٨).

(٢) انظر: الرحيق المختوم (٣٤٨).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٨).

بما قد يؤول إليه مصيره من موت محقق، بل وسمعناها توصي ولدها قائلة: ((والله ما أشتهي أن أموت حتى تأتي على أحد طرفيك؛ إما أن تقتل فأحتسبك، وإما أن تظفر فتقر عيني، وإياك أن تُعرض على خطة فلا توافق، فتقبلها كراهية الموت))[1]!!

وقد مرَّ بنا موقفها وصمودها بعد موت ولدها، وعدم خوفها من الحجاج.

أمَّا الزبير بن العوام؛ وهو ابن عمة رسول الله ﷺ، فقد واجه الطغيان أول ما واجه بعد إسلامه مباشرة، فعن أبي الأسود قال: ((أسلم الزبير وهو ابن ثماني سنين، وهاجر وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه بالنار! وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا))[2]!!

والزبير أول من سلَّ سيفًا في الإسلام، فعن سعيد بن المسيب قال: ((أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله الزبير بن العوام، بينا هو بمكة إذ سمع نغمة (يعني: صوتًا) أن النبي ﷺ قد قُتل، فخرج عريانًا ما عليه شيء! في يده السيف صلتًا، فتلقاه النبي ﷺ

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٣).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٤٠).

كفة بكفة، فقال: ((مالك يا زبير؟!))، قال: سمعت أنك قد قُتلت، قال: ((فما كنت صانعًا؟!))، قال: أردت والله أن أستعرض في أهل مكة))[1]!!

ولم يتخلف الزبير عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، ((وكان الزبير يوم بدر ومع رسول الله ﷺ فارسان؛ الزبير على فرس على الميمنة، والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة))[2].

((وعن عبد الله بن الزبير قال: يا أبه، قد رأيتك تحمل على فرسك الأشقر يوم الخندق، قال: يا بني، رأيتني؟ قال: نعم، قال: فإن رسول الله ﷺ يومئذٍ ليجمع لأبيك أبويه ويقول: ((ارم، فداك أبي وأمي))[3]!

((وعن جابر بن عبد الله قال: لما كان يوم الخندق، ندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، فقال رسول الله ﷺ: ((لكل نبي حواري، وحواريي الزبير))[4].

وهذه الروح الفدائية كانت متأصلة في نفس الزبير، فقد وجدناها عند الزبير بن العوام أيضًا عندما كان بأرض الحبشة، فعن

---

(١) المرجع السابق، وأستعرض في أهل مكة؛ أي: أخوض فيهم بسيفي.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦).

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٤٠)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٥٠).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٨٤).

أم سلمة رضي الله عنها قالت: «فوالله إنه لعلى ذلك (أي: النجاشي) إذ نزل به من ينازعه في ملكه، قالت: والله، ما علمنا حزنًا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك؛ تخوفًا أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف.

قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا؟ فقال الزبير بن العوام: أنا، قالت: وكان أحدث القوم سنًّا، قالت: فنفخوا له قربة فجعلوها في صدره، فسبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم»[(١)].

أما ثمرة هذا الزواج المبارك بين السيدة أسماء والزبير بن العوام؛ فقد كان عبد الله بن الزبير، «وهو أول مولود يولد في المدينة بعد الهجرة»[(٢)]، وقد سُرَّ رسول الله ﷺ بمولده.

«وفي البخاري، عن عروة: أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرسًا، وهو ابن عشر سنين، ووكل به رجلا»[(٣)].

فانظر كيف كانت التربية الجهادية التي يربي الآباء عليها أبناءهم!

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (١٠٥، ١٠٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٣).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٦٥).

حتى صار عبد الله بن الزبير -فيما بعد- بطلاً من أبطال المسلمين، ولله درٌّ الشاعر القائل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان قد عوده أبوه

وتتضح ثمرة هذه التربية الجهادية وتظهر في فتح إفريقية؛ ((قال ابن الزبير: هجم علينا جرجير في عشرين ومائة ألف، فأحاطوا بنا، ونحن عشرون ألفًا.

قال: واختلف الناس على ابن أبي السرح، فدخل فسطاطه، فرأيت غِرَّة من جرجير؛ بصرت به خلف عساكره على برذون له أشهب، معه جاريتان تظللان عليه بريش الطواويس، بينه وبين جيشه أرض بيضاء، فأتيت أميرنا ابن أبي السرح، فندب إلي الناس، فاخترت ثلاثين فارسًا، وقلت لسائرهم: البثوا على مصافِّكم، وحملت، وقلت لهم: احموا ظهري، فخرقت الصف إلى جرجير، وخرجت صامدًا، وما يحسب هو ولا أصحابه إلا أني رسول إليه حتى دنوت منه، فعرف الشر، فثابر برذونه موليًّا، فأدركته، فطعنته، فسقط، ثم احتززت رأسه، فنصبته على رمحي وكبَّرت، وحمل المسلمون، فانفض العدو، ومنح الله أكتافهم))[1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧١).

أسرة جعفر بن أبي طالب ﷺ

لقد كان لهذه الأسرة باع كبير في مواجهة الطغيان؛ فعندما هاجرت هذه الأسرة -المكونة من الزوج جعفر بن أبي طالب، والزوجة السيدة أسماء بنت عميس- فرارًا بدينها مع من هاجروا إلى الحبشة، لم يكن الطغيان المكي في ذلك الوقت ليتركهم، بل أسرع الخطا يتتبع أثرهم؛ محاولاً القضاء على هذه العصابة المؤمنة، ولنفسح المجال للسيدة أم سلمة تخبرنا عن ذلك.

عن أم سلمة ﷺ قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار؛ النجاشي، أمننا على ديننا، وعبدنا الله وحده، لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يُهدُوا النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، وبعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهم أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا، فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم؛ ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهم: نعم، ثم قرَّبوا هداياهم إلى النجاشي، فقبلها منهم، ثم كلماه؛ فقالوا له: أيها الملك، قد صبا إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، ولم يكن أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم.

ويتبيَّن لنا من خلال هذا العرض أسلوب الطغيان في عداوته للحق، إنه يحاول القضاء عليه بكل ما أُوتي من قوة، حتى ولو فارق الحق داره وذهب يبحث عن دار أخرى ينشر فيها دعوته، والطغيان

في معركته مع الحقِّ نجده يستخدم أخسَّ الأسلحة وأحقر الأساليب، فلا مانع لديه من دفع الرشوة، واستمالة بطانة الملك وحاشيته، وعلى الرغم من ذلك، إلا أننا نلمح في ثنايا العرض، أن الطغيان - مهما حاول أن يتظاهر بالقوة والجبروت- فهو ضعيف في ذاته، يشعر بضعفه وعجزه؛ لذا.. نجده يطلب من بطارقة الملك أن يعاونوه، وأن يحُولُوا بين الملك وبين الاستماع إلى عصابة الحق؛ وليس ذلك إلا لعلمهم أن الحقَّ أعلى صوتًا وأقوى حجة: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فقال بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهم، فليردوهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشي وقال: لاهيم الله، إذًا لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قومًا جاوروني ونزلوا على بلادي واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحتسب جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، فقالوا -بعضهم لبعض-: ما تقولون في الرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيناﷺ كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوه -وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله- سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا دين أحد من هذه الأمم؟!

وهنا يأتي دور الحق ليفصح عن نفسه وليواجه الطغيان، إنَّ المواجهة هذه المرَّة ليست بالسلاح، وإنَّما هي مواجهة بالبيان، وإنَّ من البيان ما هو أبلغ وقعًا وأقوى تأثيرًا من السلاح إذا أحسن استخدامه! فمن يا تُرى الجدير بهذه المهمَّة؟! إنه جعفر بن أبي طالب الذي تولي هذه المهمَّة وتحمَّل تلك المسؤولية.

قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ﷺ؛ قال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف! فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله ﷻ لنوحِّده ونعبدَه، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمَرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وإقامة الصلاة

وإيتاء الزكاة، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام.. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم، وأحللنا ما أحلَّ، فعدا علينا قومنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ﷻ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقُوا علينا، وحَالُوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به من شيء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم، قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه، فقرأ عليه صدرًا من: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]، قالت: فبكى النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما يتلى عليهم، ثم قال النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله، لا أسلمهم إليكم ولا أكاد!

وهكذا أدَّى البيان دوره، وحدث ما كان يخشاه الطغيان، لقد كان يخشى أن يكلمهم الملك؛ لعلمه بقوته وصرامته، وقد أحسن جعفر استخدام ذلك السلاح، فكان خير من يمثل قومه ويعبِّر عنهم وعن قضيتهم.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينَّه غدًا بما أعيبهم عنده، وبما أستأصل به خضراءهم، فقال

له عبد الله ابن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل فإنَّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله، لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عليه السلام عبد.

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل إليهم فسلهم عمَّا يقولون فيه.

وهكذا تتكرر محاولة الطغيان للإطاحة بالحق والقضاء عليه، ولكن هيهات هيهات!

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا بمثلها، واجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ ثم اتفق أمرهم على أن يصدقوا الملك، وكان المتحدث جعفر بن أبي طالب؛ فقال: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشي بيده الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قاله! فقال: وإن تناخرتم والله! اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي (السيوم: الآمنون)؛ من سبَّكم غرم، ثم من سبَّكم غرم، ما أحبُّ أن لي دبرًا ذهبًا، وأني آذيت رجلاً منكم (والدبر بلسان

الحبشة: الجبل)، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بهما، فوالله، ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ ملكي فآخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس فيَّ حتى أطيعهم فيه[1]!!

وهكذا وجدنا الطغيان يخنع ويتضاءل أمام الحق؛ الحق الذي نطق به جعفر.

وتشارك السيدة أسماء بنت عميس زوجها جعفر بن أبي طالب؛ فتهاجر معه حينما هاجر إلى الحبشة، وتصبر على ما أصابها من ألم الغربة ولوعة الفراق، ثم تهاجر مع زوجها مرة ثانية إلى المدينة المنورة حيث رسول الله ﷺ، وبها يحدث موقفها الشهير مع عمر بن الخطاب.

فعن أبي موسى قال: «...فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وكانت قد هاجرت إلى النجاشي مع مَنْ هاجر، فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: مَنْ هذه؟ فقالت: أسماء بنت عميس، فقال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت وقالت: كلا يا عمر، كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار -أو أرض- البعداء

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٩٠ - ٢٩٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (١٧٤٠).

البغضاء[1] بالحبشة، وذلك في ذات الله ﷻ وفي رسول الله ﷺ، وايم الله، لا أطعم طعامًا ولا أرب شرابًا حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ وأسأله، والله، لا أكذب ولا أزيد على ذلك.

فتأمَّل في تعبير السيدة أسماء عن الحبشة بأنها دار البعداء البغضاء، وما يدل عليه من الشدَّة والألم الذي تعرَّضت له مع أصحابها، وتأمل قولها له: يطعم جائعكم ويعظ هالككم؛ وما يوحي به من الوحشة التي كانوا يعيشون فيها بعيدًا عن رسول الله ﷺ.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إنَّ عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم يا أهل الحبشة هجرتان**»[2]!!

ويستأنف جعفر بن أبي طالب كفاحه وجهاده ضد الطغيان، ولكن في هذه المرة، كانت الطريقة مختلفة؛ ففي هذه المرة يواجه جعفر الطغيان بالسلاح.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال: «**إن قُتلَ زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله**

---

(١) البعداء البغضاء: قال العلماء: البعداء في النسب، البغضاء في الدين؛ لأنهم كفار إلا النجاشي، وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري به.

(٢) رواه البخاري (٤٢٣٠).

بن رواحة))، قال عبد الله: كنت فيهم، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية))[1]!!

وقد أظهر جعفر من الشجاعة والجرأة في هذه المعركة ما خلع القلوب وبهر العقول، فمن حديث يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: حدَّثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة؛ غزوة مؤتة، قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قُتلَ وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها
عليَّ إذا لقيتها ضرابها[2]

((وعن ابن عمر قال: وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر؛ ما بين منكبيه.. تسعين ضربة؛ ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف))[3].

(١) رواه البخاري (٤٢٦١).
(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣٧٨).
(٣) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢١٧).

وينهي جعفر حياته شهيدًا في سبيل الله، ليبدله الله بذراعيه جناحين يطير بهما في الجنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت جعفر بن أبي طالب ملكًا في الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير بالجنة»**[1].

(١) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٩)، وانظر: طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥).

أسرة عمار بن ياسر ﷺ

لقد أحرزت هذه الأسرة الفريدة في تاريخ الإسلام قصب السبق، فهذه الأسرة التي ضمت بين أعضائها الأب؛ ياسر بن عامر بن مالك، والأم؛ سمية بنت سماك بن خياط، والابن؛ عمار بن ياسر.. تعتبر أول أسرة مسلمة في تاريخ الإسلام -بعد أسرة الرسول ﷺ- يتفق أفرادها جميعًا على الإسلام، فإذا كان هناك من الأفراد من سبق إسلامهم إسلام هذه الأسرة، إلا أن دخولهم إلى الإسلام كان بشكل فردي، أمَّا أن تجتمع أسرة بأكملها على الإسلام، فهذا لم يتحقق إلا لتلك الأسرة في تلك المرحلة المبكرة من الدعوة، وبهذا أحرزت قصب السبق في الدخول إلى الإسلام.

وكذلك أحرزت هذه الأسرة قصب السبق في مجال الشهادة في سبيل الله؛ حيث تضم من بين أفرادها، أول شهيدة في الإسلام على الإطلاق؛ السيدة سمية بنت سماك بن خياط، فعن مجاهد قال: «أول شهيد في الإسلام استشهد أم عمار؛ سمية، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها»[1]!

(١) انظر: حياة الصحابة (١/ ٢٩١)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٩).

وقد تحمَّلت هذه الأسرة أشد أنواع العذاب في الله، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: أقبلت أنا ورسول الله ﷺ نتماشى في البطحاء حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا؟! فقال رسول الله ﷺ: ((**اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر**))، قال: ((**وقد فعلت**))[1].

وفي رواية: عن عبد الله بن جعفر: قال ﷺ ((**صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنة**))[2].

وعن عمرو بن ميمون، قال: ((أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، وكان رسول الله ﷺ يمرُّ به ويمرر يده على رأسه، ويقول: ((**يا نارُ كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كُنت على إبراهيم عليه السلام**))[3].

وعن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمارًا، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: ((**ما وراءك؟**))، قال: شرٌّ يا رسول الله، والله ما تُركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قال ﷺ: ((**كيف تجد قلبك؟**))، قال: مطمئن بالإيمان، قال: ((**فإن عادوا فعُد**))[4]!

---

(١) رواه أحمد (١/ ٦٢)، وانظر: صفة الصفوة (١/ ١٨٢).

(٢) انظر: حياة الصحابة (١/ ٢٩١).

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٨٢).

(٤) رواه الحاكم، وقال: ((صحيح))، ووافقه الذهبي، انظر: صفة الصفوة (١/ ١٨٢).

فتأمَّل معي هذه الأسرة المؤمنة التي جمعت العقيدة قبل أي شيء بين أفرادها، كيف تحدَّت الطغيان وواجهته، وكيف انتصرت لعقيدتها ورفضت الاستكانة للباطل والجنوح إليه مهما كلفهم ذلك، حتى وإن كان في سبيل ذلك التضحية بحياتهم؛ وهي أغلى ما يملكه الإنسان، فيموت الأب، وتموت الأم تحت وطأة العذاب!!

وإننا لنعجب من موقف هؤلاء الثلاثة إزاء بعضهم البعض؛ فالزوج يرى زوجته وابنه يعذَّبان، بل وتقُتل زوجته أمام عينيه في موضع عفتها! ولا يفل ذلك من عزمه، والأم ترى ولدها وزوجها يُعذَّبان بالنار ولا تنثني عن موقفها، والابن البار يرى أبويه يُعذَّبان ويُقْتَلان أمام عينيه ولا يحيد عن موقفه!! ما السرُّ في هذا؟!

إنَّها العقيدة، ولا شيء سواها، إنه الإيمان المطلق بما عند الله وبأن الآخرة خير وأبقى.

وبعد موت الأبوين المجاهدين، تستمر رحلة التحدِّي لهذه الأسرة، فالابن ما زال على قيد الحياة، ذلك الأثر الطيب المتبقي من هذه الأسرة، فكان خير خلف لخير سلف، «فيهاجر عمار بن ياسر إلى المدينة، ويشهد معركة بدر مع رسول الله، ولم يشهدها ابن

مؤمنين غيره! ويشهد أُحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وسمَّاه رسول الله ﷺ الطيب المطيب»[1].

وبعد وفاة النبي ﷺ يشارك ﷺ في حروب الردَّة، فعن ابن عمر قال: رأيت عمارًا يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أَمِن الجنة تفرُّون؟! أنا عمار بن ياسر، هلمُّوا إليَّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشد القتال!!

ويستمر ﷺ في جهاده إلى أن يُقتل، قال أهل السير: قُتل عمار بصفين مع علي بن أبي طالب ﷺ، وقبل أن يموت يدعو عمار بشراب، فأتي بقدح من لبن؛ فيقول: صدق الله رسوله، اليوم ألقى الأحبة؛ محمدًا وحزبه، إن رسول الله ﷺ قال: «**إن آخر شيء يرويه من الدنيا صبحة لبن**»[2].

وأخيرًا.. أنقل تعليقًا للدكتور محمد عمارة على هذه الأسرة المجاهدة، يقول: «ولعلنا ندرك عمق المأساة في عين عمار بن ياسر ﷺ؛ يرى أمه تُقتل وهو لا يملك لها من الأمر شيء، ولئن مات أبوه ياسر تحت وطأة العذاب، فقد كان مصير أمه جارحًا؛ كعربي مسلم،

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٨٢).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٨٣).

لكنها المبادئ العليا تكلِّف أربابها أن يعيشوا لها ويموتوا في سبيلها، ولك أن تتصور عمق البلاء هنا!!

إنَّ إنسانًا يسمع اليوم كلمة تخدش حياءه ليهبُّ دفاعًا عن كرامته، ومن ورائه رأي عام يسانده، فإن لم يكن؛ فالقانون ينتقم له، أمَّا عمار فإنه يرى بعينيه يد الغدر تطعنها، ويسمع بأذنيه أنينها؛ ثم لا يملك لها شيئًا، بل ولا يملك الرسول ﷺ إلا الدعاء.

إنَّ البلاء أكبر من أن يتحمله إنسان، ولكن عمَّار يغالب المحنة، ويخرج منها بعقيدته، ولئن ودَّع أباه وودع أمه، فإنَّ بقاء عقيدته عزاء وسلوى»[1]!!

(١) تأملات في السيرة (٧٦)، نقلاً عن: رجال ونساء حول الرسول ج (٥٠٢، ٥٠٣).

أسرة أم سليم بنت ملحان

هي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصارية الخزرجية، أم أنس بن مالك بن النضر، خادم النبي ﷺ، مات عنها زوجها مالك بن النضر، وتزوجت من بعده بأبي طلحة الأنصاري.

وهذه الأسرة المسلمة صاحبة باع طويل في الجهاد والكفاح ضد الطغيان، وأبدأ الحديث عن هذه الأسرة بالإشارة إلى جهود السيدة أم سليم رضي الله عنها.

لقد أدَّت أم سليم دورًا عظيمًا في مجال الدعوة إلى الإسلام، وأول من وجهت إليه دعوتها ولدها أنس بن النضر؛ «جعلت تلقن أنسًا: قل: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمدًا رسول الله.. ففعل»[1]، ويدخل عليها زوجها أبو أنس، فيقول لها: «لا تفسدي عليَّ ابني، فتقول: إني لا أفسده»[2]، ويموت زوجها قبل أن يُسْلِم.

وتستمر السيدة أم سليم في جهادها في ميدان الدعوة إلى الإسلام، فبعدما مات زوجها مالك بن النضر، يتقدَّم أبو طلحة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٥).

(٢) المرجع السابق.

لخطبتها، فتدعوه إلى الإسلام فيُسْلم، فعن أنس بن مالك قال: «خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم، فقالت: أما إني فيك لراغبة، وما مثلك يُردُّ، ولكنك رجل كافر وأنا مسلمة، فإنْ تُسْلم فذلك مهري، لا أسألك غيره، ثم قالت: ألست تعلم أن إلهك خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي ابن فلان؟!! قال: بلى، قالت: أفلا تستحي أن تعبد خشبة؟! وفي رواية: قال: ما مهرك؟ قالت: وما مهري؟! قال: الصفراء والبيضاء، يعني: الذهب والفضة، قالت: فإني لا أريد صفراء ولا بيضاء، أريد منك الإسلام!! قال: فمن لي بذلك؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ، فانطلق أبو طلحة وقال: حتى أراجع نفسي، ثم انطلق بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس بين أصحابه، فلما رآه قال: «**جاء أبو طلحة غرة الإسلام بين عينيه**»! فجاء فأخبر النبي ﷺ بما قالت أم سليم، فأسلم وتزوجها على ذلك، قال ثابت: فما بلغنا أن مهرًا كان أعظم منه»[1]!

وهكذا نرى أم سليم تنجح في دعوتها إلى دين الله، وتنقذ نسمة من الولوج في النار، وكانت في دعوته ذات أسلوب رصين وحجة

---

(١) انظر: الإصابة (٤/ ١٤٦)، والطبقات الكبرى (٨/ ٤٢٦ - ٤٢٨)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٥).

قوية، فقد حاورته قائلة: ألست تعلم أن إلهك خشبة من نبات الأرض نجرها حبشي ابن فلان؟! وأرادت بهذا السؤال الاستنكاري أن توقفه أمام نفسه؛ ليدرك هو بنفسه مدى الانحطاط بعبادته لهذا الصنم.

وتنشأ هذه الأسرة الجديدة على أساس من العقيدة والدين، فتندفع لمواجهة الطغيان بكل ما تملك من قوة، فها هي أم سليم تشارك في غزوة أحد وغزوة حنين مع زوجها أبي طلحة الأنصاري.

قال محمد بن سيرين: «كانت أم سليم مع النبي ﷺ يوم أحد ومعها خنجر»(١).

وعن أنس: أن أم سليم اتخذت خنجرًا يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول ﷺ: **«ما هذا الخنجر؟»**، فقالت: يا رسول الله، إن دنا مني مشرك بقرت بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتل من بعُد من الطلقاء(٢)؛ انهزموا بك(٣)، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن»**(٤).

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٤).

(٢) الطلقاء: الذين أسلموا بعد فتح مكة، وسموا بذلك؛ لأن النبي ج مَنَّ عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعف، فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون ويستحقون القتل لانهزامهم.

(٣) انهزموا بك: أي عنك.

(٤) رواه مسلم (١٨٠٩)، باب: غزو النساء مع الرجال، وأحمد (٣/ ١٩١)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٤).

أمَّا أبو طلحة، فقد شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مجوبًا عليه بحجفة، وكان راميًا شديد النزع؛ كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله ﷺ: «**انثرها لأبي طلحة**»، ثم يشرف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت، لا تشرف ألا يصيبك سهم، نحري دون نحرك»[1]!!

وعن أنس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ يومئذ (يعني: يوم حنين): «**من قتل كافرًا فله سلبه**»، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم[2]!!

ويستمر أبو طلحة في جهاده مع النبي ﷺ وبعد مماته ﷺ؛ حيث إن أبا طلحة غزا البحر فمات، فلم يوجد له جزيرة يدفن فيها سبعة أيام، فلم يتغيَّر[3].

عن أنس قال: إنَّ أبا طلحة قرأ سورة «براءة»، فأتى على هذه الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١]، فقال: ألا أرى ربي

(١) رواه البخاري (٣٨١١)، وأحمد: (١٠٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٧١٨)، وانظر: صفة الصفوة (١/ ١٩٩)، والطبقات (٣/ ٥٠٥).

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٩٩).

يستنفرني شابًّا وشيخًا، جهِّزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك، فقال: جهِّزوني، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغيَّر[1].

وإن كنا قد استعرضنا شجاعة أبي طلحة وثباته وجرأته في مواجهة الطغيان، فلا بدَّ لنا من الإشارة إلى البذل المادي الذي بذله أبو طلحة لرسول الله ﷺ، فعن أنس قال: «فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، اللهم إن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: «بخ، وذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، قال: فقسَّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمِّه»[2]!!

أمَّا أنس بن مالك بن النضر، وهو ابن أم سليم، فقد ذهبت به إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، فكان يخدمه، وكان له يومئذٍ تسع

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥)، وقال: «صحيح الإسناد».

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٩٨).

سنين، ويُقال: عشر، «فعن أنس قال: أخذت أم سليم بيدي مقدم النبي ﷺ المدينة، فأتت بي رسول الله ﷺ فقالت: هذا ابني، وهو غلام كاتب، قال: فخدمته تسع سنين، فما قال لشيء صنعته: أسأت أو بئس ما صنعت»(١)!

«وعن محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حدَّثني أبي عن مولى لأنس بن مالك أنه قال لأنس: أشهدت بدرًا؟ قال: لا أم لك، وأين أغيب عن بدر؟! قال محمد بن عبد الله: خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ حين توجه إلى بدر وهو غلام يخدمه»(٢).

«قلت (أي ابن حجر): وإنَّما لم يذكروه في البدريين؛ لأنه لم يكن في سن يقُاتل»(٣).

وأمَّا البراء بن مالك أخو أنس لأبيه، واختلفوا في كونه أخيه لأمه أم لا، ففي «صفة الصفوة»: أنه أخو أنس بن مالك لأبيه وأمه، وفي «الإصابة»: أنه أخوه لأبيه.

وكان البراء بن مالك من الشجعان في مجال الحروب، فعن ابن

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ٣٠٣).

(٢) انظر: الاستيعاب (١/ ٣١٥)، والإصابة (١/ ٢١٧).

(٣) الإصابة (١/ ٢٧١).

سيرين قال: كتب عمر: لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مهلكة؛ يقدم بهم!!

«وقال أنس بن مالك: ركب البراء فرسًا يوم اليمامة، ثم قال: أيها الناس، إنها والله الجنة، وما لي إلى المدينة من سبيل، فمصع فرسه مصعات، ثم كبس وكبس الناس معه، فهزم الله المشركين، فكانت في مدينتهم ثلمة.

وكان البراء فدائيًا من طراز فريد، فعن محمد بن سيرين: أن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أُغلق بابه، فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك على ترس، وقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم، ففعلوا، فأدركوه وقد قتل منهم عشرة.

وعنه (أي البراء بن مالك): قال رسول الله ﷺ: «**كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره؛ منهم البراء بن مالك**»! وإن البراء لقي زحفًا من المشركين، وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على الله، فقال: أقسمت عليك يا رب؛ لما منحتنا أكتافهم! فمُنحوا أكتافهم!! ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا المسلمين، فقالوا: أقسم يا براء على ربك، فقال: أقسمت عليك يا

رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيّي ﷺ! فمنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً))[1]!!

وأمَّا عمهما، فهو أنس بن النضر، والذي به سُمِّيَ أنس، فعن أنس بن مالك قال: ((عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، والله، إن أراني الله مشهدًا فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع! قال: فهاب أن يقول غيرها.

قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له: يا أبا عمرو، أين؟! واهًا لريح الجنة، أجده دون أحد، فقاتلهم حتى قُتِل!! قال: فوُجد في جسمه بضع وثمانون؛ من بين ضربة وطعنة ورمية، قال: فقالت أخته؛ عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه!! ونزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه))[2].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢٦١).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٣)، باب: ثبوت الجنة للشهيد.

أسرة أم حرام بنت ملحان

وأم حرام بنت ملحان هي زوجة عبادة بن الصامت، ولقد آثرت الحديث عن هذه الأسرة في هذا الموضع؛ نظرًا لما بينها وبين الأسرة السابقة من ارتباط، فهي أخت أم سليم بنت ملحان، وخالة أنس بن مالك.

وإن كنا بصدد الحديث عن أسرة أم حرام، فلا بدَّ من الإشارة إلى اثنين من المجاهدين، الذين ارتبطوا بهذه الأسرة، وهما: حرام بن ملحان، وسليم بن ملحان، «وكلاهما شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وشهد حرام بن ملحان أحدًا، وقتل عامر بن الطفيل، وهو الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل»[(١)].

«وروى البخاري من طريق ثمامة عن أنس قال: لَمَّا طعن حرام بن ملحان، وكان مع خالد يوم بئر معونة؛ قال: فزت ورب الكعبة»[(٢)]!

فهذه الأسرة الكريمة من أبناء وبنات ملحان بن حرام، لها باع كبير في مواجهة الطغيان، وها هي السيدة أم حرام بنت ملحان تواجه الطغيان هي الأخرى وتموت شهيدة في سبيل الله، فعن أنس بن

(١) انظر: الاستيعاب (١/ ٢٧٢)، والإصابة (٢/ ١٢٧).

(٢) انظر المرجع السابق.

مالك، عن أم حرام قالت: «بينا رسول الله ﷺ قائل في بيتي إذ استيقظ وهو يضحك، فقلت: بأبي وأمي، ما يضحكك؟! قال: **«عُرِض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرَّة»**، فقلت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **«أنت من الأولين»**، فغزت مع عبادة بن الصامت وكان زوجها؛ فوقصتها بغلة لها شهباء، فوقعت فماتت»[1]!

وهكذا نجد أم حرام تشارك زوجها في جهاده ضد الطغيان، وتموت شهيدة في سبيل عقيدتها.

أما الزوج، عبادة بن الصامت فهو ذو باع طويل في الجهاد ضد الطغيان، بدأ هذا الجهاد منذ أن جاء مبايعًا رسول الله ﷺ في بيعة العقبة الأولى، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء -وذلك قبل أن يفترض الحرب- ألا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، **«فإن وفَّيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأمركم إلى الله؛ إن شاء عذَّبكم، وإن شاء غفر لكم»**[2].

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ٣٧٠).

(٢) رواه البخاري (٣٨٩٣).

ويحمل عبادة على عاتقه مسؤولية هذا الدين مع من حملوها من الاثني عشر مؤمنًا الذين بايعوا الرسولﷺ، فيعودون إلى بلادهم ليمهِّدوا للدين الجديد، ويعملوا على نشره، ويذهب إليهم مصعب بن عمير؛ فيجد الجو مهيَّأ لاستقبال دعوة الإسلام، ويزداد عدد المسلمين، وتأتي بيعة العقبة الثانية، ويشهدها سبعون رجلاً وامرأتان من الأنصار، فيبايعون الرسولﷺ على: «**السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا لله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفكسم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة**»(١).

وكان عبادة بن الصامت ممن شهد هذه البيعة أيضًا، بل كان نقيب بني عوف من الخزرج، فعنه ﷺ قال: «أنا من النقباء الذين بايعوا رسول اللهﷺ ليلة العقبة»(٢).

«ولقد ضرب عبادة بن الصامت أروع المثل للمؤمن المخلص لله ولرسوله، فتحرر من موالاة الكفار من اليهود، وأعلن ولاءه لله ولرسوله وللمؤمنين، فاستحق بذلك أن ينزِّل في شأنه قرآنًا يتُلى إلى يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٢٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨٩٣).

حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وكان السبب في نزول هذه الآية أنه لما انتصر المسلمون في غزوة بدر الكبرى، آلم هذا النصر اليهود؛ وأخذوا يتحرشون بالمسلمين، وكان بداية ذلك في سوق بني قينقاع عندما قدمت امرأة من العرب بحليب لها فباعته، وجلست إلى صائغ في السوق، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها!! فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم على اليهود فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

وعلم الرسول ﷺ، فجاء مسرعًا إلى السوق، ثم قال: «**يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم**»، قالوا: يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قومًا أغمارًا، لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنَّا نحن الناس!!

ثم أرسلوا إليه عبد الله بن أبي بن سلول، فلم يجبه، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ:

«أرسلني»، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: «ويحك أرسلني»، قال: لا والله، لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: «هم لك».

وعندما علم عبادة بن الصامت بما كان من أمر اليهود وأمر عبد الله بن أبي بن سلول جاء مسرعًا إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، إن أوليائي من اليهود كانت شديدة أنفسهم، كثير سلاحهم، شديدة شوكتهم، وأنا أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله»[1].

«ويستمر عبادة بن الصامت في رحلة جهاد ضد الطغيان، فيشارك في حروب الردَّة، وفكَّر المسلمون في فتح مصر التي بشرهم رسولهم بها، واتجه إليها عمرو بن العاص في جيش كبير، ولكنه عندما وصل إلى أرض مصر، رأى كثرة عدد وعدَّة من المصريين والروم، فطلب مددًا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ واستجاب عمر لرأي عمرو، وأمدَّه بأربعة آلاف رجل وكتب له

(١) نقلاً عن: رجال ونساء نزل فيهم قرآن (١/ ٢/ ٢٨، ٢٩).

كتابًا قال فيه: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألفٍ رجلٌ منهم مقام ألف، وكان عبادة بن الصامت أحد هؤلاء الأربعة))[1]، فرضي الله عنه وأرضاه.

(١) نقلاً عن: رجال ونساء نزل فيهم قرآن (١/ ٢/ ٢٠، ٢١).

أسرة أم عمارة

«أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية الخزرجية، وأخوها عبد الله بن كعب بن عمرو من البدريين، وأخوها عبد الرحمن من البكائين»[1].

«شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت أحدًا والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة، وجاهدت وفعلت الأفاعيل»[2]!!

وهذه الأسرة تضم بين أعضائها السيدة المجاهدة أم عمارة مع ولديها؛ حبيب وعبد الله؛ ابني زيد بن عاصم بن عمرو، وهو زوجها الأول، وكذلك زوجها الثاني غزية بن عمرو.

«قال الواقدي: شهدت أحدًا مع زوجها غزية بن عمرو ومع ولديها؛ حبيب وعبد الله؛ ابني زيد بن عاصم»[3].

وقد أبلت هذه الأسرة بلاء حسنًا في جهادها مع رسول الله ﷺ؛ فوقفت في وجه الطغيان تدافع عن عقيدتها وإيمانها.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٨).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

فعن أم عمارة قالت: «رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في نُفير ما يتمون عشرًا، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذبُّ عنه، والناس يمرُّون منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً موليًا ومعه ترس، فقال: «**ألق ترسك إلى من يقاتل**»، فألقاه، فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله ﷺ، وإنَّما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله!

فيقبل رجل على فرس فيضربني، وترست له، فلم يصنع شيئًا وولَّى فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره! فجعل النبي ﷺ يصيح: «**يا بن أم عمارة، أمك، أمك**»، قالت: فعاونني عليه حتى أوديته شعوب»[1]!!

«وعن عبد الله بن زيد قال: جرحت يومئذ جرحًا، وجعل الدم لا يرقأ، فقال النبي ﷺ: «**اعصب جرحك**»، فتقبل أمي إلى ومعها عصائب في حقوها فربطت جرحي، والنبي ﷺ واقف، فقال: «**انهض بني، فضارب القوم**»، وجعل يقول: «**من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة**»، فأقبل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي أظفرك**»[2].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٩)، والشعوب: من أسماء المنية.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٠).

وعنه -أيضًا- قال: ((شهدت أحدًا، فلما تفرَّقُوا عن رسول الله ﷺ دنوت منه أنا وأمي نذبُّ عنه، فقال: ((ابن أم عمارة؟))، قلت: نعم، قال: ((ارم))، فرميت بين يديه رجلاً بحجر وهو على فرس؛ فأصبت الفرس، فاضطرب الفرس فوقع هو وصاحبه، فجعلت أعلوه بالحجارة، والنبي ﷺ يبتسم، ونظر إلى جرح أمي على عاتقها، فقال: ((أمك، أمك، اعصب جرحها، اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة))، قلت: ما أبالي ما أصابني من الدنيا))[1].

لقد كانت هذه حلقة من حلقات المواجهة مع الطغيان، انتصرت فيها العقيدة على الطغيان، وكانت المشاركة الأسرية عاملاً من عوامل الانتصار، وجدنا فيها الأم مع ابنيها وزوجها في هذه المواجهة، تجمعهم جميعًا عقيدة واحدة وهدف واحد.

ثم ننتقل إلى حلقة أخرى من الحلقات التي شاركت فيها هذه الأسرة في مواجهة الطغيان، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ، ((حيث ظهرت حركة الرِّدَّة التي شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية، وكان لا بدَّ من التصدِّي لهذا الطغيان الجارف والقضاء عليه؛ فتشاك أم عمارة في حروب اليمامة وتقطع يدها))[2].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٠، ٢٨١).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٠).

((وفي سبيل الدفاع عن الحق يسقط ابنها حبيب شهيدًا ؛ حيث قتله مسيلمة))[1].

وكان حبيب بن زيد قد أرسله رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذّاب برسالة ينهاه فيها عن ضلاله وغيِّه، فعذَّب مسيلمةُ حبيبَ بن زيد، وجمع قومه، وقال لحبيب: أتشهد أن محمدًا رسول؟ قال حبيب: نعم، أشهد أن محمدًا رسول الله، فقال له: أتشهد أني رسول؟ فأجاب حبيب قائلاً: إني لا أسمع شيئًا! فراح يقطع جسده قطعة قطعة، وبضعة بضعة!!

لقد كان أمام حبيب بن زيد أن يأخذ بالرخصة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، لكنه فضَّل الأخذ بالعزيمة ؛ إذ إنه أمام جماهير غفيرة، جمعها مسيلمة الكذاب، فأراد أن يثبت لهم قوة الحق، وثبات العقيدة، فربما يثوبون إلى رشدهم عندما يجدون منه هذا الاستبسال في الدفاع عن عقيدته.

والحق دائمًا يحمل قوة معنوية عظيمة، فالنطق بالحق يزلزل الباطل مهما كانت صورة الباطل قويَّة وعاتية، والحق دائمًا يجرد

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٢)، والإصابة: (٢/ ٩٥).

الباطل ويعريه أمام نفسه، فلا يجد إلا الخلاص من هذا الصوت وإن كان خافتًا ضعيفًا، فماذا يفعل رجلٌ واحدٌ أمام جيش بأسْرِه؟! ولكنه على الرغم من ذلك قتله!!

ونحن عندما نقارن بين موقف رسول الله ﷺ حينما جاءه رسولا مسيلمة الكذاب، فقال لهما: «**فما تقولان أنتما؟!**»، قالا: نقول كما قال! فقال رسول الله ﷺ: «**والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**»[1]، وبين موقف مسيلمة هذا وقتله رسولَ رسولِ الله ﷺ؛ نجد البون شاسعًا والفرق واضحًا وجليًّا؛ فالرسول ﷺ ملتزم بالمبادئ التي تعارفوا عليها من عدم قتل الرسل، رغم أنهما استحقا القتل لردتهما، أمَّا مسيلمة ممثل الطغيان فهو سفّاح قاتل، الغاية عنده تبرر الوسيلة، فلا أخلاق ولا قيم ولا معايير، وكيف يكون عند الطغيان معايير أو قيم وهو مبني على الباطل!

«وكان حبيب قد شهد أحدًا والمشاهد كلها»[2].

«ولما كان يوم اليمامة، قَتل أخوه عبدُ الله بن زيد مسيلمةَ الكذّاب»[3].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٨٧، ٤٨٨)، وأبو داود (٢٧٦١).

(٢) انظر: الإصابة (٢/ ٩٥).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٢).

«ثم يُقْتَل عبد الله بن زيد يوم الحرة، فيسقط شهيدًا ليلحق بأخيه، ويمن سبقوه»[1].

(١) المرجع السابق.

أسرة عمرو بن الجموح ﵁

هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، وله من الولد معاذ، ومعوذ، وخلاد، وزوجته هي هند بنت عبد الله بن حرام.

لقد واجهت هذه الأسرة الطغيان أول ما واجهته مع رأس الأسرة وصاحبها؛ ألا وهو عمرو بن الجموح نفسه، وكان معاذ بن عمرو بن الجموح يدعو إلى الإسلام مع معاذ بن جبل، وكانا قد اتفقا على أن يجعلا صنم عمرو بن الجموح سخرية!

«فعن عكرمة قال: لما قدم مصعب بن عمير المدينة؛ يعلّم الناس القرآن، بعث إليهم عمرو: ما هذا الذي جئتمونا به؟! فقالوا: إن شئت أسمعناك، فواعدهم، فقرؤوا عليه: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١، ٢]، فقال: إن لنا مؤامرة (مشاورة) في قومنا، وكان سيد بني سلمة.

قال: فخرجوا، فدخل على مناف (صنم كان يعبده) فقال: يا مناف، تعلم والله ما يريد القوم غيرك! فهل عندك من نكير؟!! فقلده السيف وخرج لحاجته، فقام أهله، فأخذوا السيف، فلما رجع دخل عليه

فلم ير السيف، فقال: أين السيف ويحك؟! والله إن العنز لتمنع استها! والله ما أرى في أبي جعار غدًا من خير! ثم قال: إني ذاهب إلى مالي بعلياء المدينة، فاستوصوا بمناف خيرًا! فإني أكره أن أرى له يوم سوء!!

فذهب، فأخذوه وكسروه وربطوه إلى جنب كلب ميت، وألقوه في بئر، فلما جاء قال: كيف أنتم؟ قالوا: بخير يا سيدنا، وسّع الله ﷻ في منازلنا، وطهر بيوتنا من الرجس، قال: والله، إني أركم قد أسأتم خلافتي في مناف! قالوا: هو ذاك انظر إليه في جنب البئر، فأشرف فإذا هم قد ربطوه إلى جنب كلب»[1]، وعندما يشاهد عمرو بن الجموح صنمه على هذه الحالة، ينشد قائلاً:

والله لو كنت إلهًا لم تكن   أنت وكلب وسط بئر في قرن

ويعلن عمرو بن الجموح إسلامه ودخوله في زمرة الدعاة إلى الله؛ «فبعث إلى قومه فجاؤوا، فقال: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى، أنت سيدنا، قال: فإني أشهدكم أني قد آمنت بما أنزل على محمد ﷺ»[2].

وهكذا، نجد عمرو بن الجموح في ساحة الدعوة يدعو قومه إلى الدخول في الإسلام بعدما تطهر من دنس الشرك وعبادة الأوثان.

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢٧٠).

(٢) المرجع السابق.

ثم تأخذ المواجهة ضد الطغيان عند هذه الأسرة شكلاً آخر؛ ألا وهو المواجهة بالسلاح.

ولنبدأ بمعاذ بن عمرو بن الجموح، فعن عبد الرحمن بن عوف قال: «بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا بن أخي؟! قال: أُخبرت أنه يسبُّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا! قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها!!

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس، فقلت: ألا تريان صاحبكما الذي تسألان عنه؟ قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «**أيكما قتله؟**»، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «**هل مسحتما سيفيكما؟**»، قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «**كلاكما قتله**»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء[1].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨).

قلت: ومات معاذ بن عفراء شهيدًا في المعركة؛ لذا لم يقض له بسلبه.

«وفي رواية: عن معاذ بن عمرو قال: جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني، فلما أمكنني حملت عليه فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي، وبقيت معلقة بجلدة بجانبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها»[1]!!

«وقد شهد معوذ بن عمرو بدرًا مع أخويه معاذ وخلاد»[2].

وهكذا، يشارك هؤلاء الأخوة في أول مواجهة حقيقية ضد الطغيان.

«ثم تجتمع هذه الأسرة المباركة وتشارك في مواجهة الطغيان، وذلك في غزوة أحد، فقد شهدها عمرو بن الجموح وأولاده؛ معاذ، ومعوذ، وخلاد»[3].

«أمَّا عمرو بن الجموح: فلما كان يوم أحد، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٢)

((**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين**))، فقال وهو أعرج: والله لأقحزن عليها في الجنة، فقاتل حتى قُتل))[1].

((وقالت امرأته هند بنت عبد الله بن حرام: كأني أنظر إليه يأخذ درقته، وهو يقول: اللهم لا تردَّني! فَقُتِل))[2].

((وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج، فأتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل؛ أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ (وكانت رجله عرجاء)، فقال رسول الله ﷺ: ((نعم))، فقتلوا يوم أحد؛ هو وابن أخيه ومولى لهم، فمرَّ رسول الله ﷺ فقال: ((**كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة**))[3]!

وكان أبناؤه يريدون منعه من الجهاد؛ نظرًا لما أعذره الله به من العرج، ولكنه أبى إلا الخروج؛ فمن طريق أبي إسحاق: أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسد؛ يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله ﷻ قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٣).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٥٥).

(٣) رواه أحمد: (٥/ ٢٩٩).

فقال : إن بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله، إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة! فقال رسول الله ﷺ: ((أما أنت فقد عذرك الله، فلا جهاد عليك))، وقال لبنيه: ((ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة))، فخرج معه؛ فقُتل يوم أحد))[1].

((وعندما تعلم زوجته هند بنت عبد الله بموته وموت ابنه خلاد وموت أبيها عبد الله بن حرام في هذه المعركة، نراها تصبر صبرًا جميلاً، وتقول عبارة حُقَّ لنا أن نكتبها بمداد من ذهب، فتقول عن رسول الله ﷺ: ((كل مصيبة بعدك جلل))؛ أي: هيِّنة))[2].

(١) انظر: ابن هشام (٢/ ٩٠، ٩١)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٤)، وصفة الصفوة (١/ ٢٧٠).

(٢) انظر: إمتاع الأسماع (١/ ١٦٢).

أسرة عبد الله بن عمرو بن حرام

هو «عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب الأنصاري السلمي.

وهذه الأسرة تضم اثنين من أقطاب الإسلام وأئمة الجهاد، هما عبد الله بن عمرو بن حرام وابنه جابر بن عبد الله، وقد بدآ جهادهما معًا عندما شهدا معًا بيعة العقبة»[1]، «وكان عبد الله بن عمرو بن حرام أحد النقباء؛ حيث كان نقيب بني سلمة مع البراء بن معرور»[2].

«وعن جابر بن عبد الله قال: حملني خالي جد بن قيس في السبعين راكبًا الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من قِبَل الأنصار ليلة العقبة»[3].

وقد شهد عبد الله بن عمرو بن حرام بدرًا، ومات شهيدًا في أحد.

«فعن جابر رضي الله عنه قال: لما حضر قتال أُحد دعاني أبي من الليل، فقال: إني لا أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني والله، ما أدع أَحَدًا يعني: أعز عليَّ منك بعد نفس

(١) انظر: الإصابة (١/ ٦١٧).

(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية (١٥٧).

(٣) انظر: صحيح السيرة النبوية (١٥٦).

رسول الله ﷺ، وإن عليَّ دَيْنًا فاقض عني دَيْني، واستوص بأخواتك خيرًا، قال: فأصبحنا فكان أول قَتيل))[1].

وعن جابر -أيضًا- قال: لما قُتل أبي يوم أُحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني، وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: **((تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه))**[2].

((قال مالك: وكُفِّنَ هو -أي: عمرو بن الجموح- وعبد الله بن عمرو بن حرام في كفن واحد))[3].

وكانت البشرى بعد قتل عبد الله بن حرام لابنه جابر، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((ألا أخبرك أن الله كلَّم أباك كفاحًا، فقال: عبدي، سلني أعطك، قال: أسألك أن تردَّني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانيًا، فقال: إنه قد سبق مني القول أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾))**[4].
[آل عمران: ١٦٩]

---

(١) رواه البخاري (١٣٥١، ١٣٥٢).

(٢) رواه البخاري (١٢٤٤)، وانظر: صفة الصفوة (١/ ٢٠٢).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٥).

(٤) انظر: صحيح السيرة النبوية (٢٩٩).

«أما جابر بن عبد الله، فقد روى البخاري في تاريخه بإسناد صحيح، عن أبي سفيان، عن جابر قال: كنت أميح أصحابي الماء يوم بدر»[1].

«وروى مسلم عن جابر قال: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، قال جابر: لم أشهد بدرًا ولا أُحدًا، منعني أبي، فلما قُتل لم أتخلف»[2].

(١) انظر: الإصابة (١/ ٦١٧).

(٢) انظر: الإصابة (١/ ٦١٧)، والاستيعاب (١/ ٥٠٦، ٥٠٧).

أسرة زيد بن حارثة رضي الله عنه

هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس، مولى رسول الله ﷺ، وزوجته هي أم أيمن، واسمها بركة مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها من أبيه، فأعتقها حين تزوج خديجة، فتزوجت عبيد بن زيد بن الحارث، فولدت له أيمن، ثم تزوجها زيد بن حارثة بعد النبوة، فولدت له أسامة.

وهذه الأسرة ذات تاريخ عريق في الجهاد مع رسول الله ﷺ، وفي مواجهة الطغيان، فقد كان زيد من أول الناس إسلامًا، وكذلك أم أيمن.

فعن عمار رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمس أعبد وامرأتان، وأبو بكر»(١).

وعند ابن هشام: «فإن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعليًا أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١).

(٢) صحيح السيرة النبوية (٧٤).

«أما الأعبد الذين ذُكروا في حديث عمار؛ فهم: بلال بن رباح، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، فإنه أسلم قديمًا مع أبي بكر، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية، وشقران مولى النبيﷺ، والمرأتان: فخديجة، والأخرى أم أيمن أو سمية»[1].

وهذا يدلنا على أن زيد بن حارثة وأم أيمن من السابقين الأوائل إلى الإسلام.

وإن الدخول في دين الإسلام لهو تحدٍّ واضح وسافر للطغيان، فإنَّ من أشكال مواجهة الطغيان التحرر من الطغيان ذاته، فكان دخولهما في دين الله أول مرحلة من مراحل مواجهة الطغيان.

ثم تأتي المرحلة الثانية؛ وهي الهجرة والجهاد مع رسول اللهﷺ، فقد هاجر زيد بن حارثة: «وشهد زيد بدرًا، وأُحدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، واستخلفه رسول اللهﷺ على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وخرج أميرًا في سبع سرايا»[2]، «عن سلمة بن الأكوع، قال: غزوت مع رسول اللهﷺ، وغزوت مع زيد بن حارثة، كان يُؤمِّره علينا»[3].

(١) فتح الباري (٧/ ٢٤).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٥٦).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٥٥).

«وقد استشهد ﷺ يوم مؤتة، وكان رسول الله ﷺ قد أمَّره على مؤتة، فقتُل وهو ابن خمس وخمسين سنة»[1].

وعن ابن عمر، قال: أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «**إن قتل زيد فجعفر، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»[2].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ نعى زيدًا وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتي خبرهم، فقال: «**أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأُصيب**» وعيناه تذرفان، «**حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم**»[3].

وكذلك خرجت أم أيمن مهاجرة فارَّة بدينها من قومها، فعن عثمان بن القاسم، قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وهي ماشية ليس معها زاد، وهي صائمة في يوم شديد الحر؛ فأصابها عطش شديد، حتى كادت أن تموت من شدة العطش، قال: وهي بالروحاء أو قريبًا.

(١) الإصابة (٣/ ٢٣).

(٢) رواه البخاري (٤٢٦١).

(٣) رواه البخاري (٤٢٦٢).

قالت: «فلما غابت الشمس، إذا أنا بخفيف شيء فوق رأسي فرفعت رأسي، فإذا أنا بدلو من السماء مدلّى برشاء أبيض، قالت: فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه، تناولته فشربت منه حتى رويت، قالت: فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش، فما عطشت بعدها»(١).

«فلما توفي النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: مر بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما رأتهما بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما أبكي، إني لأعلم أن رسول الله ﷺ قد صار خيرًا مما كان فيه، ولكن أبكي لخبر السماء انقطع عنا، فهيجتهما على البكاء؛ فجعلا يبكيان»(٢).

«وبكت أم أيمن لما قُتل عمر، وقالت: اليوم وَهَى الإسلام»(٣).

«وكان أيمن ابن أم أيمن قد قُتل شهيدًا يوم حنين»(٤).

«أما ابنها أسامة؛ الحِبُّ، وهو حِبُّ رسول الله ﷺ»(٥).. «فقد شهد حنينًا، وثبت مع من ثبت، دفاعًا عن رسول الله ﷺ»(٦).

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ٣٦٠).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ٣٦١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٧).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٢٤).

(٥) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢١٩)، الاستيعاب (١/ ٢٣٧).

(٦) انظر: صحيح السيرة النبوية (٥٥٤).

((وعن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ استعمله على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار، فلم يسر حتى توفي رسول الله ﷺ؛ فبادر الصديق ببعثهم فأغار على أُبنى من ناحية البقاء))[1].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٧).

أسرة سعيد بن زيد بن عمرو

تتكون هذه الأسرة من سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرين بالجنة، وزوجته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل؛ أخت عمر بن الخطاب.

وقبل الحديث عن هذه الأسرة ودورها في مواجهة الباطل والطغيان، لا بدَّ من الحديث عن والده سعيد بن زيد، والذي لقب بالباحث عن الحقيقة.

فقد نظر زيد بن عمرو بن نفيل إلى ما عليه قريش من الغي والضلال، فأدرك بفطرته السليمة التي خلقه الله عليها أن هناك دينًا آخر يجب أن يدين به، هذا الدين يخالف دين قريش وغيرها من عبدة الأوثان؛ «فخرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالما من اليهود؛ فسأله عن دينهم، فقال: إني لَعَلِّي أن أدين دينكم فأخبرني، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله؟ قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا، وأنّى أستطيعه؟! فهل تدلني على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، ولم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد؛ فلقي عالمًا من النصارى، فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله، قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا غضب الله شيئًا أبدًا، وأنّى أستطيعه؟! فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا، قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهدك أنّي على دين إبراهيم»[1].

وهكذا يدخل زيد بن عمرو في زمرة المتحنفين؛ أمثال ورقة بن نوفل، فيعود إلى بلده مكة، فيعلن لهم أنه على دين إبراهيم، ويعيب ما هم عليه من عادات تخالف الفطرة السليمة، فعن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: «رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري، وكان يحيي الموؤودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (٣٧).

تقتلها، أنا أكفك مؤونتها؟ فيأخذها! فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها»[1]!!

كما امتنع زيد بن عمرو عن مشاركتهم في نسكهم وعبادتهم، فعن ابن عمر قال: «إن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»[2].

وكان زيد بن عمرو يستخدم العقل والقياس في حديثه إلى قومه، وفي تسفيهه أحلامهم ونسكهم، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل من السماء لها الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؛ إنكارًا لذلك، وإعظامًا له»[3].

فلما يئس منه عمه الخطاب بن نفيل قام إليه فلطمه! وقال: «تبًّا لك! مازلنا نسمع منك هذا البذاء حتى نفد صبرنا، ثم أغرى به سفهاء قومه فآذوه، وبالغوا في إيذائه حتى نزح عن مكة، والتجأ إلى جبل حراء، فوكّل به الخطاب طائفة من شباب قريش؛ ليحولوا بينه

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (٣٧).
(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية (٣٨).
(٣) انظر: صحيح السيرة النبوية (٣٨).

وبين دخوله مكة، فكان لا يدخلها إلا سرًّا[1]، وهكذا يُطرد زيد من وطنه في سبيل دينه الذي آمن به».

ثم يلقى زيد بن عمرو حتفه قبل أن يدرك البعثة بقليل؛ حيث قال له أحد علماء اليهود أو النصارى: «إنك تطلب دينًا لا يوجد اليوم، ولكن الحق ببلدك، فإن الله يبعث من قومك من يجدد دين إبراهيم، فإن أدركته فالتزمه، ولما كان في بعض طريقه بعث الله نبيه محمدًا بدين الهدى والحق، لكن زيدًا لم يدركه؛ إذ خرجت عليه طائفة من الأعراب، فقتلته قبل أن يبلغ مكة وتكتحل عيناه برؤية رسول الله ﷺ! وفيما كان زيد يلفظ أنفاسه الأخيرة رفع بصره إلى السماء، وقال: اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير، فلا تحرم منه ابني سعيدًا»[2].

وشاء الله أن يستجيب دعوة زيد، فكان سعيد من أوائل من آمنوا برسول الله ﷺ، ولا عجب، فقد تربى في أحضان الباحث عن الحقيقة؛ الذي كان يستنكر ما كانت عليه قريش من الضلال والغي، وشاهده وهو يعاني من هجير الصحراء ورمضائها في البحث عن الحقيقة.

(١) انظر: صور من حياة الصحابة (٢٣٣).

(٢) انظر: صور من حياة الصحابة (٢٣٥).

ويبدأ سعيد بن زيد حياة جديدة هو وزوجته فاطمة التي تابعته على دينه الجديد، فآمنت هي الأخرى سرًا؛ خوفا من بطش قريش وتعذيبها لمن يدخل في هذا الدين، ثم كان أول موقف لهذه الأسرة مع الطغيان والباطل؛ إذ كان عمر بن الخطاب من أشد الناس عداوة لمحمد ومن تبعه، «فخرج يومًا متوشحًا سيفه يرى القضاء على النبي ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله النمام العدوي، أو رجل من بني زهرة، أو رجل من بني مخزوم، فقال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمدًا، قال: كيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي كنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر، إن أختك وختنك قد صبَوا، وتركا دينك الذي أنت عليه.

فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما خباب بن الأرت، معه صحيفة فيها «طه» يقرئهما إياها، وكان يختلف إليهما ويقرئهما القرآن، فلما سمع خباب حسَّ عمر توارى في البيت، وسترت فاطمة أخت عمر الصحيفة، وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذا الهينمة التي سمعتها عندكم؟! فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا، قال: فلعلكما صبوتما، فقال له ختنه: يا عمر، أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه،

فوطئه وطئًا شديدًا، فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها! فقالت وهي غضبى: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله!!

فلما يئس عمر ورأى ما بأخته من الدم، ندم واستحى، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسُّه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، فقرأه، فقال: ما أحسن هذا الكلام وما أكرمه! دلوني على محمد(١)!!

وكان لموقف فاطمة وجرأتها وصدعها بالحق أمام قوة عمر وجبروته أثر في نفس عمر؛ إذ إنها هزت كيانه كله، فأسلم عمر، فكم كان حجم المكسب الذي كسبه الإسلام بإسلامه ﷺ، وكانت هي السبب في إسلامه، ولُقِّبت بذلك بقاهرة عمر!

وتستمر هذه الأسرة المناضلة في جهادها ضد الباطل تتعرض لما يتعرض له المسلون المستضعفون في مكة من إيذاء وبطش؛ فتصبر على هذا الإيذاء والبطش، ثم يأذن الله للمؤمنين في الهجرة، فتهاجر هذه الأسرة إلى المدينة المنورة؛ تاركة الوطن والأرض، ومفارقة الأهل والأحباب في سبيل هذا الدين.

---

(١) انظر: الرحيق المختوم (١١٧، ١١٨).

ويصبح سعيد بن زيد جنديًا من جنود الإسلام، فيشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها ما خلا بدر، فإنه لم يحضرها[1].

والسبب في عدم حضوره بدرًا هو أن رسول الله ﷺ بعثه مع طلحة بن عبيد الله قبل خروجه إلى بدر، يتحسسان خبر العير، فمرت بهما، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فخرج، ورجعا يريدان المدينة، ولم يعلما بخروج النبي ﷺ، فقدما في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله ﷺ المشركين، فخرجا يعترضان رسول الله ﷺ فلقياه منصرفًا من بدر، فضرب لهما بسهامهما، فكانا كمن شهدها[2]، فكأن الرسول ﷺ قد وجد فيه وفي طلحة خير من يقوم بمهمة التجسس والعمل في سلاح المخابرات الإسلامي، فأديا واجبهما كما طلب منهما، فضرب لهما رسول الله ﷺ سهامهما كمن حمل السلاح وجاهد.

وبعد وفاة الرسول ﷺ يستمر سعيد بن زيد في جهاده ضد الطغيان، ((وأسهم مع المسلمين في استلال عرش كسرى، وتقويض ملك قيصر، وكانت له في كل موقعة خاض غمارها مواقف وبطولات غُرٌّ مشهودة وأيادٍ بيضٌ محمودة))[3].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٣٦).

(٣) انظر: صور من حياة الصحابة (٢٣٦).

ولعل أروع بطولاته كان يوم اليرموك، يقول: لمّا كان يوم اليرموك كنا أربعًا وعشرين ألفًا أو نحوًا من ذلك، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة ألف! وأقبلوا علينا بخطى ثقيلة؛ كأنهم الجبال تحركهم أيد خفية، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون، يحملون الصلبان ويجهرون بالصلوات، فيرددها الجيش من ورائهم، وله هزيم كهزيم الرعد!

فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه هالهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شيء من الخوف، عند ذلك قام أبو عبيدة بن الجراح يحضُّ المسلمين على القتال، فقال: عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، عباد الله، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار، وأسرعوا الرماح واستتروا بالتروس، والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله.

قال سعيد: عند ذلك خرج رجل من صفوف المسلمين، وقال لأبي عبيدة: إني أزمعت على أن أقضي أمري الساعة، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول الله ﷺ، فقال أبو عبيدة: نعم، تقرئه السلام ومن المسلمين السلام، وتقول له: يا رسول الله، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا.

قال سعيد: فما إن سمعت كلامه، ورأيته يمتشق حسامه ويمضي إلى لقاء أعداء الله.. حتى اقتحمت إلى الأرض، وجثوت على ركبتي وأشرعت رمحي، وطعنت أول فارس أقبل إلينا، ثم وثبت على

العدو، وقد انتزع الله كل ما في قلبي من الخوف، فثار الناس في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله لهم النصر وللمؤمنين))[1]!!

وهكذا تكون أول رمية صدرت في وجه الأعداء قد صدرت من سعيد بن زيد؛ فيفتح الله للمسلمين، ويخلصهم من خوفهم الذي في قلوبهم.

ويموت سعيد بن زيد بالعقيق؛ ليلحق برسول الله ﷺ وصحابته الذين بشرهم بالجنة في حياتهم، وقال فيما رواه عبد الرحمن بن الأخنس، عن سعيد بن زيد: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: رسول الله في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة))، ثم قال: إن شئتم أخبرتكم بالعاشر، ثم ذكر نفسه[2].

(١) صور من حياة الصحابة (٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢٤٩).

أسرة الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ

عن الطفيل بن عمرو قال: «كنت رجلاً شاعرًا سيدًا في قومي، فقدمت مكة فمشيت إلى رجالات قريش؛ فقالوا: إنك امرؤ شاعر سيد، وإنَّا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر! فاحذره أن يُدخل عليك وعلى قومك ما أدخل علينا، فإنه فرَّق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وابنه!

وهكذا.. نجد الطغيان يجدُّ ويجتهد في منع وصول دعوة الرسول ﷺ إلى الناس، ويحاول أن يحجر على رأيه وحديثه؛ وليس ذلك إلا لعلمه بقوَّة الحق وصدق من يبلِّغه.

قال: فوالله ما زالوا يحدثوني شأنه وينهوني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادٌّ أذني، قال: فعمدت إلى أذني فحشوتها كُرْسفًا (أي: قطنًا)، ثم غدوت إلى المسجد، فإذا برسول الله ﷺ قائمًا في المسجد، فقمت قريبًا منه، وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فقلت في نفسي: والله إن هذا للعجز، وإني امرؤ ثبت، ما تخفى عليَّ الأمور؛ حسنها وقبيحها، والله لأتسمعن منه، فإن كان أمره رشدًا أخذت منه، وإلا اجتنبته.

فنزعت الكرسفة، فلم أسمع قط كلامًا أحسن من كلام يتكلم به، فقلت: يا سبحان الله! ما سمعت كاليوم لفظًا أحسن ولا أجمل منه، فلما انصرف تبعته، فدخلت معه بيته فقلت: يا محمد، إن قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأخبرته بما قالوا، وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض على دينك، فعرض عليَّ الإسلام؛ فأسلمت.

وهكذا يسطع الحق على الباطل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ثم قلت: إني راجع إلى دوس، وأنا فيهم مُطاع، وأدعوهم إلى الإسلام؛ لعلَّ الله أن يهديهم، فادع الله أن يجعل لي آية، قال: «اللهم اجعل له آية تعينه».

فخرجت حتى أشرفت على ثنية قومي وأبي هناك شيخ كبير وامرأتي وولدي، فلما علوت الثنية، وضع الله بين عيني نورًا كالشهاب، يتراآه الحاضر في ظلمة الليل، وأنا منهبط من الثنية، فقلت: اللهم في غير وجهي؛ فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثلة؛ لفراق دينهم، فتحول، فوقع في رأس سوطي، فلقد رأيتني أسير على بعيري إليهم وإنه على رأس سوطي كأنه قنديل معلق، قال: فأتاني

أبي، فقلت: إليك عني، فلست منك، ولست مني، قال: وما ذاك؟ فقلت: إني أسلمت وتابعت دين محمد، فقال: أي بني، ديني دينك، وكذلك أمي؛ فأسلما»[1].

«وفي رواية: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني فلست مني ولست منك، قالت: ولِمَ بأبي أنت؟ قلت: فرَّق بيني وبينك الإسلام، إني أسلمت وتابعت دين محمد، قالت: فديني دينك، فأسلمت»[2].

ونلمح من خلال هذه الرواية: أن الطفيل لم يكتف فقط بإسلامه، بل يقرر أن يكون داعية إلى الإسلام بين قومه وأهله؛ مستغلاً مكانته بين قومه، ويعود بالفعل ويبدأ دعوته إلى الإسلام بدعوة أهل بيته؛ فيجيبونه إلى الإسلام، حيث يدخل أبواه معه في الإسلام، وكذلك زوجته، وينجح الطفيل كداعية على مستوى أسرته، مكونًا بذلك جبهة إسلامية في وجه الطغيان.

يقول: «ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام، فأبت عليَّ وتعاصت»[3].

ومع أول مواجهة للطفيل مع الطغيان يفقد الطفيل مكانته في قومه، والتي كان قد أخبر بها الرسول ﷺ حين قال له: «وأنا فيهم

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء (1/ 345، 346).

(2) انظر: صفة الصفوة (1/ 251).

(3) انظر: سير أعلام النبلاء (1/ 346).

مطاع»؛ فنجد دوسًا تتمرد عليه وتأبى، وتعلن عصيانه في الدخول في الإسلام، وليس هذا بمستغرب، فربما يفقد الإنسان الكثير في سبيل الحق الذي يدعو إليه، وهو بذلك ينتصر للمبادئ السامية والقيم العليا، ينتصر للحق على الباطل.

فيعود إلى الرسول ﷺ قائلاً له: غلب على دوس الزنا والربا؛ فادع عليهم، فقال ﷺ: «**اللهم اهد دوسًا**»، فأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام حتى استجاب منهم من استجاب، وسبقتني بدر وأحد والخندق، ثم قدمت بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس، فكنت مع النبي ﷺ حين فتح مكة.

وهكذا ينهي الطفيل دوره في مواجهة الطغيان بالدعوة إلى الحق، وينتصر الطفيل على الطغيان في هذه الجولة؛ مؤيدًا بدعوة رسول الله ﷺ له ولقومه.

ثم تتخذ مواجهة الطغيان شكلاً آخر عند الطفيل، وهي المواجهة المباشرة؛ «فقلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفين، صنم عمرو بن حممة؛ فأحرقه، فبعثه إليه فحرقه، فلما أحرقه؛ بان لمن تمسك به أنه ليس على شيء؛ فأسلموا جميعًا»[1].

---

(١) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢٥١).

ويعدما قُبض رسول الله ﷺ يستمر الطفيل بن عمرو في جهاده ضد الطغيان، ويشترك معه ابنه في هذه المرحلة، يقول: «خرجت إلى بعث مسيلمة ومعي ابني عمرو، حتى إذا كنت ببعض الطريق رأيت رؤيا، رأيت كأن رأسي حُلق، وخرج من فمي طائر، وكأن امرأة أدخلتني فرجها، وكأن ابني يطلبني طلبًا حثيثًا، فحيل بيني وبينه، فحدثت بها قومي، فقالوا: خيرًا، فقلت: أمَّا أنا فقد أولتها؛ أما حلق رأسي؛ فقطعه، وأما الطائر؛ فروحي، والمرأة؛ الأرض أُدفن فيها، فقد روعت أن أقتل شهيدًا، وأما طلب ابني إياي فما أراه إلا سيعذر في طلب الشهادة ولا أراه يلحق بي سفره هذا، قال: فقتل الطفيل يوم اليمامة، وجرح ابنه، ثم قتل يوم اليرموك بعد»[1].

«وكان ابنه عمرو بن الطفيل قد جُرح وقُطعت يده يوم اليمامة، فبينا هو عند عمر بن الخطاب إذ أتي بطعام، فتنحى عنه؛ فقال عمر: ما لك؟! لعلك تنحيت لمكان يدك؟! قال: أجل، قال (أي: عمر): والله، لا أذوقه حتى تسوطه! فوالله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك»[2]!!

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤٦).

(٢) انظر: صفة الصفوة (١/ ٢٥١).

أسرة الخنساء بنت عمرو بن الشريد

«هي الخنساء بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن سليم، الشاعرة المشهورة، واسمها: تماضر، قدمت على النبي ﷺ مع قومها من بني سليم، فأسلمت معهم، فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده، وهو يقول: «**هيه، يا خناس**»! ويومئ بيده، وكانت تقول البيتين والثلاثة؛ حتى قُتل أخوها شقيقها معاوية، وقتل أخوها لأبيها صخر، وكان أحبهما إليها، فلما قُتل أكثرت من الشعر، ومن قولها في صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا ... ألا تبكيان صخر الندى
ألا تبكيان الجرئ الجميل ... ألا تبكيان الفتى السيدا»[1]

وتأثر الخنساء بالعقيدة الإسلامية أيَّما تأثُّر، فقد كانت قبل إسلامها تبكي أخاها صخر، حتى قيل: إنها فقدت بصرها من شدت بكائها عليه، أما الآن، فقد تغيرت وجهتها في الحياة، واختلفت أهدافها؛ انطلاقًا من عقيدتها: «فحضرت الخنساء بنت عمرو

(١) انظر: الإصابة (٤/ ٢٨٧).

السلمية حرب القادسية، ومعها بنوها أربعة رجال، فذكر موعظتها لهم وتحريضهم على القتال وعدم الفرار، وفيها: إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، وإنكم لأب واحد وأم واحدة، ما عبت آباءكم ولا فضحت أخوالكم»[1]!

لقد تخلَّت الخنساء عن عاداتها الجاهلية، وراحت تربِّي أبناءها على الجهاد في سبيل الله، وأرضعتهم ألبان البطولة والرجولة، ودفعتهم في خضم المعامع، «فلما أصبحوا، باشروا القتال واحدًا بعد واحد؛ حتى قُتلوا جميعًا، والتهمتهم المعركة في سبيل الله سبحانه، وكل واحد منهم يذكر وصية أمه له؛ فأنشد الأول:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة　　　قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيان واضحة　　　وإنما تلقون عند الصائحة
من آل ساسان كلابًا نابحة

وأنشد الثاني:

إن العجوز ذات حزم وجلد　　　قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد　　　فباكروا الحرب حماة في

(١) انظر: الإصابة (٤/ ٢٨٨).

وأنشد الثالث:

والله لا نعصي العجوز حرفًا نصحًا وبرًّا صادقًا ولطفًا
فبادروا الحرب الضروس حتى تلقوا آل كسرى لفًّا

وأنشد الرابع:

لست لخنساء ولا للأخرم ولا لعمرو ذي السنا الأقدام
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماضٍ على الهول خضم خضرم

فبلغها الخبر، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»[1]!

فانظر معي إلى هذا اليقين المستقر في كيان الخنساء وقلبها؛ اليقين في صدق موعود الله للشهداء بالجنة، وأنهم قد نالوها باستشهادهم في سبيله تعالى، وترجو من الله أن يجمعها بهم في جنته، إن وراء هذا اليقين عقيدة راسخة، لا تقبل الشك ولا تقبل المراء، فاللهم اجمع بيننا وبينهم في الفردوس الأعلى.

(١) انظر: الإصابة (٤/ ٢٨٨).

أسر مسلمة بأرض الحبشة

إن الهجرة في ذاتها عمل فدائي عظيم، فالهجرة معناها: مفارقة الديار والأوطان، وهجر الأهل والأقارب والأحباب، والعربي كما نعلم يرتبط ارتباطًا شديدًا بالأرض وبالأسرة والقبيلة؛ «والأسرة في عرف العرب أهم من البطاقة الشخصية اليوم؛ لأننا إذا فقدنا بطاقتنا اليوم استطعنا أن نستخرج غيرها، ولكن حين ينفصل البدوي عن أرومته يشعر كأنه فقد كيانه»[1]!

ولعل ما جبل عليه العربي من حبه للأسرة وارتباطه بالقبيلة، وحبه للمكان والتصاقه به، هو الذي دفع «كونستانس جيورجيو» في كتابه «نظرة جديدة في سيرة رسول الله ﷺ» أن يفرد عنوانًا في كتابه باسم «أعظم عمل فدائي قام به محمد ﷺ»، وكتب تحته: «وفي اعتقادي أن انفصام محمد ﷺ عن قبيلته وهجرته إلى المدينة يعتبر أعظم عمل قام به محمد ﷺ في سبيل الإسلام، فقد أمسك محمد ﷺ بيده منشارًا وجبَّ به صلته بأرومته؛ فداء لعقيدته»[2].

(١) انظر: نظرة جديدة في سيرة رسول الله ج (١٦٧).

(٢) المرجع السابق.

وإن ما يصدق على رسول الله ﷺ من فدائية بهجرته، يصدق على تلك الأسر التي هاجرت فارَّة بدينها إلى أرض الحبشة، وقد خصصت حديثي على تلك الأسر المهاجرة إلى أرض الحبشة؛ لأنَّ رسول الله ﷺ لم يكن معهم، وكان في ذلك عناء شديدة بالنسبة لهم؛ دلّنا عليه حديث السيدة أسماء بنت عميس السابق ذكره[1].

ولقد رأيت أنه من الواجب عليَّ تجاه هذه الأسر أن أذكرها، وإن لم أعلق عليها؛ وهي:

١- أسرة عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ.

٢- أسرة أبي حذيفة بن عتبة، وزوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو.

٣- أسرة أبي سلمة بن عبد الأسد، وزوجته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة رضي الله عنه، وكانت تحته، فلما مات تزوجها النبي ﷺ وصارت من أمهات المؤمنين.

٤- أسرة عامر بن ربيعة، وزوجته ليلى بنت أبي حثمة رضي الله عنهما.

٥- أسرة جعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس، وقد ولدت له بأرض الحبشة ابنه عبد الله رضي الله عنهم.

٦- أسرة عمرو بن سعيد بن العاص، وزوجته فاطمة بنت صفوان بن أمية رضي الله عنهما.

(١) انظر: الحديث عن أسرة جعفر بن أبي طالب.

٧- أسرة خالد بن سعيد بن العاص، وزوجته أمينة بنت خالف بن أسعد رضي الله عنهم.

٨- أسرة عبد الله بن جحش بن رئاب، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وهي التي تزوجها رسول الله ﷺ من بعده، فصارت من أمهات المؤمنين.

٩- أسرة قيس بن عبد الله، وزوجته بكرة بنت يسار، مولاة أبي سفيان.

١٠- أسرة جهم بن قيس بن عبد شرحبيل، وزوجته أم حرملة بنت عبد الأسود رضي الله عنهم.

١١- أسرة المطلب بن أزهر بن عبد عوف، وزوجته زملة بنت أبي عوف بن خبيرة، وقد ولدت له في الحبشة ولده عبد الله رضي الله عنهم.

١٢- أسرة الحارث بن خالد بن صخر وزوجته ريطة بنت الحارث بن جبلة رضي الله عنهم.

١٣- أسرة حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب، وزوجته فاطمة بنت المجلل رضي الله عنهم.

١٤- أسرة حطاب بن الحارث بن معمر بن حبيب، وزوجته فكيهة بنت يسار رضي الله عنهم.

١٥- أسرة سفيان بن معمر بن حبيب، وزوجته حسنة رضي الله عنهم.

١٦- أسرة أبي سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى، وزوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو رضي الله عنهما.

١٧- أسرة السكران بن عمرو بن عبد شمس، وزوجته سودة بن زمعة بن قيس، وقد تزوجها الرسول ﷺ بعد موت زوجها، فصارت من أمهات المؤمنين رضي الله عنهما.

١٨- أسرة مالك بن زمعة بن قيس، وزوجته عمرة بنت السعدي بن وقدان رضي الله عنهما.

١٩- أسرة سليط بن عمرو، وزوجته فاطمة بنت علقمة بن عبد الله بن أبي قيس رضي الله عنهما[(١)].

(١) انظر: المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله (٢٤٩ - ٢٥٢).

الخاتمة

إنَّ الحياة في ظل العقيدة، لها طابع خاص، فهي ليست كأي حياة، إنها حياة من أجل هدف يسعى صاحبه لتحقيقه، حياة من أجل قضية يعيش من أجلها، وصاحب العقيدة؛ في سبيل تحقيق أهدافه.. على استعداد تام بالتضحية بكل ما يملك من نفس ومال وولد.

كما أن الموت في سبيل هذه العقيدة ليس كأي موت، فهو موت من أجل الخلود، وهو هدف يسعى إليه المؤمن صاحب العقيدة وهو على يقين تام بأنه ليس بميت: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾. [آل عمران: ١٦٩]

فهم أحياء عند ربهم في جنات النعيم، وأحياء بسيرهم بيننا، فكم من أناس عاشوا وماتوا فلم يسمع عنهم أحد شيئًا! فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزًا! كقول الشاعر:

وقد يموت أناس لا تحسهم ... كأنهم من هوان الخطب ما

أما هؤلاء العمالقة أصحاب العقيدة الصحيحة، فما يزالون بيننا يحيون بسيرتهم وبطولاتهم، وما زلنا نتحدَّث عنهم ونذكرهم، ليس تمجيدًا لهم، فهم ليسوا بحاجة إلى تمجيدنا، وإنما لنزداد نحن شرفًا بالحديث عنهم.

ولقد رأينا كيف قامت الأسرة المسلمة في العهد النبوي في وجه الطغيان والطغاة، فقاومته بكافة أشكاله، مستخدمة كل ما لديها من طاقات وإمكانات، تحرِّكها العقيدة الكامنة في أعماقها.

تلك العقيدة التي جمعت بين أفرادها فرسمت لهم حياتهم؛ أهدافها وغاياتها، وسبل تحقيق هذه الأهداف والغايات، فكانت النتيجة أُسر متميزة، كان موت أحد أفرادها أحب إليها من حياته ما دام في سبيل الحق والإيمان.

وإننا لم نقصد ونحن بصدد الحديث عن هذه الأسر مجرد السرد التاريخي لهذه الأسر، ولا مجرد وضع أقصوصات وحكايات بطولاتهم بين يدي القارئ؛ ليقرأها من أجل التسلية والمتعة، بل كان مقصدنا الأول، وهدفنا الأوحد، هو أخذ العبرة من حياتهم؛ كي تستهدي بسيرتهم الأسرة المسلمة المعاصرة، وتتخذ منهم قدوة لها، وأنا في هذا الصدد لم آت ببدع من القول، فإن أسلوب القصِّ قد ورد في القرآن الكريم، ويعتبر أوسع المحاور القرآنية، وقد بيَّن الحق

سبحانه الغاية من هذا القصص القرآني لرسول اللهﷺ؛ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢].

ويجب على الأسرة المسلمة اليوم، أن تدرك أن المواجهة مع الطغيان ما زالت مستمرة، لم تنته بعد، وأنها ستظل مستمرة إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، والقرآن الكريم أشار إلي هذه الحقيقة، فقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، ونلمح هذا المعنى في حديث الرسولﷺ، حيث قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه**»!!

وعلى هذا الأساس يجب على الأسرة المسلمة أن تأخذ حذرها، وأن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهة الطغيان الجارف الزاحف نحوها، فإنَّ أعداء الدين يدركون مدى قوة الأسرة وأهميتها، فتجدهم يدبرون ليل نهار، ويعملون على تقويض أواصرها وهدم بنيانها، باعتبارها حصن الإسلام الأول؛ فها هم اليهود في بروتوكولهم العاشر يقولون: «فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة

أهمية الذاتية، فسوف ندمر الحياة الأسرية بين الأميين، وتفسد أهميتها التربوية»[(١)]!

كما أن على الأسرة المسلمة أن تعلم أن هناك حربًا ضروسًا قد بدأت بالفعل، ومنذ أمد غير قريب، شنتها وسائل الإعلام الغربية وتابعتها وسائل الإعلام الإسلامية (آسف! أقصد لدول تزعم أنها إسلامية)، هذه الحرب قامت ضد الأخلاق؛ فراحوا ينشرون الأفكار السامة في العقول، ويفرغون ما تربينا عليه -نحن المسلمين- من أخلاق وقيم إسلامية سامية، ويربون جيلاً جديدًا على هذه الأخلاق المذمومة، والتي تتعارض وتتنافى مع قيم ومبادئ الدين الإسلامي، حتى أصبحت ظاهرة وواضحة في مجتمعاتنا الإسلامية.

وكما أن هناك حربًا على الأخلاق فهناك أيضًا حرب على الاقتصاد، يحاولون سلب الشعوب والعالم الإسلامي؛ ثرواته واقتصادياته، وقد استكملت حلقات تلك الحروب الاقتصادية بما يسمى اتفاقية «الجات»، وليست الدعوة إلى العولمة إلا إحدى حلقات هذه الحرب الضروس، فالعولمة ليست إلا محاولة أمريكية خالصة؛ لفرض هيمنتها وسيطرتها الاقتصادية والعسكرية على العالم، ولا

---

(١) انظر: الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية (٦٦).

سيَّما العالم الإسلامي، ومحاولة لنشر قيم وأخلاقيات وثقافات هذا المجتمع على المجتمعات الإسلامية؛ كي تتخلى عن دورها الثقافي وقيمها الإسلامية، فتصبح شعوبًا بلا روح وبلا حياة.

وتأكيدًا على ما سبق أن ذكرته من أن استمرار المواجهة مع الطغيان، فقد وجدنا هذا التبجح الصريح، والمواجهة المباشرة مع الإسلام، فظهرت الحرب ضد الإرهاب، والتي ليست في مجملها إلا حربًا ضد الإسلام وأهله، فهل من معتبر؟!

إنني لا أكاد أُبالغ حينما أقول: إن الدور المنوط بالأسرة المسلمة اليوم أشد خطرًا من ذي قبل، وإن المواجهة اليوم مع الطغيان أقوى من ذي قبل؛ لذا.. فعلى الأسرة المسلمة أن تعي دورها، وألا تتخلى عن هذا الدور، وأن تقف متكاتفة ضد هذا الطغيان.

والله أسال أن ينفع بعملي هذا الأسرة المسلمة المعاصرة، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم:

١- أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع: نعيم يوسف، دار المنارة، المنصورة، ط. أولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢- الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية: محمود محمد الجوهري، دار الوفاء، ط. ثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣- إرواء الغليل: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٤- الاستيعاب: ابن عبد البر.

٥- الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة: د. سيد نوح، دار الوفاء، ط. ثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٦- الإسلام وإنسان العصر: د. نعمات أحمد فؤاد، القسم الثاني، العدد: (٨٢)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني.

٨- إمتاع الأسماع: المقريزى.

٩- الإيمان.. أركانه، حقيقته، نواقضه: د. محمد نعيم ياسين، دار النشر والتوزيع الإسلامية.

١٠- البداية والنهاية: ابن كثير.

١١- البيت المسلم.. معقل العقيدة وحصن الإسلام: الشيخ فؤاد الهجرسي، دار الكلمة، المنصورة.

١٢- التاريخ الإسلامي.. دروس وعبر: د. عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، ط. أولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٣- تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري.

١٤- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.

١٥- حياة الصحابة: الكاندهلوي.

١٦- دلائل النبوة: البيهقي.

١٧- رجال حول الرسول: الأستاذ خالد محمد خالد، دار المقطم، ط. أولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٨- رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنًا: د. عبد الرحمن عميرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م.

١٩- رجال ونساء حول الرسول: سعد يوسف عزيز، دار الفجر للتراث، ط. أولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢٠- الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار الكتاب الإسلامي.

٢١- الرسائل: للإمام حسن البنا.

٢٢- سبل الهدى والرشاد: الصالحي، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الحق حلمي، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٣- السلسلة الصحيحة: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٢٤- سنن الترمذي: أبو عيسى الترمذي.

٢٥- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

٢٦- سنن النسائي: أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي.

٢٧- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي.

٢٨- السيرة النبوية: ابن هشام.

٢٩- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري.

٣٠- صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي، دار النفائس، ط. ثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣١- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري.

٣٢- صفة الصفوة: ابن الجوزي.

٣٣- الطبقات الكبرى: ابن سعد.

٣٤- العبادة في الإسلام: د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٥- العقيدة الصافية والفرقة الناجية: سيد سعيد السيد، ط. ثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٦- فقه السيرة: محمد الغزالي.

٣٧- في ظلال القرآن: سيد قطب.

٣٨- القاموس المحيط: الفيروزابادي.

٣٩- لسان العرب: ابن منظور.

٤٠- مجلة الأزهر: الجزء (٧) لسنة (٧٥)، عدد رجب١٣٢٣هـ/ أكتوبر ٢٠٠٢م.

٤١- مجلة المسلم المعاصر: العدد (٣٨)، ربيع ثاني ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مؤسسة المسلم المعاصر، بيروت، لبنان.

٤٢- مجلة المسلمون: ٨شوال، ١٣٧٣هـ/ يونية ١٩٥٤م.

٤٣-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي.

٤٤- محمد رسول الله ﷺ: محمد الصادق عرجون، دار القلم، دمشق، ط.أولى، ١٩٨٥م.

٤٥- المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله: د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، ط. رابعة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤٦- المستدرك: الحاكم.

٤٧- مسند أحمد: أحمد بن حنبل الشيباني.

٤٨- سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.

٤٩- المعجم الأوسط: الطبراني.

٥٠- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية.

٥١- المنهج التربوي للسيرة النبوية؛ التربية القيادية: د. منير الغضبان، دار الوفاء، ط. أولى، ١٩٩٨م.

٥٢- موارد الظمآن: ابن حبان.

٥٣- النساء الداعيات: د. توفيق يوسف الواعي، دار الوفاء، ط. ثالثة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥٤- نظرة جديد في سيرة رسول الله ﷺ: كونستانس جيورجيو، تعريب: د. محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، ط. أولى، ١٩٨٢م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
المقدمة	٧
الفصل الأول: منهج الإسلام في مواجهة الطغيان	١١
المبحث الأول: الطغيان لغةً واصطلاحًا	١٣
المبحث الثاني: منهج الإسلام في مواجهة الطغيان	١٥
أولاً: تفريغ القلوب من عبادة الأوثان	١٥
ثانياً: ترسيخ عقيدة الإيمان في القلوب	١٧
ثالثاً: تحرير العقول من تبعية طغاة البشر	٢١
رابعاً: تحرير القلوب من الخوف	٢٢
خامساً: غرس روح الجهاد في النفوس	٢٨

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: أسر مسلمة في وجه الطغيان	٣٥
المبحث الأول: منهج الإسلام في بناء الأسرة	٣٧
- الأسرة أساس المجتمع	٣٧
- منهج الإسلام في اختيار الأزواج	٤١
- حقوق وواجبات	٤٩
المبحث الثاني: أسر مسلمة في وجه الطغيان	٦١
- أسرة الرسول ﷺ	٦١
- أسرة أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٨٠
- أسرة الزبير بن العوام رضي الله عنه	٨٩
- أسرة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه	٩٥
- أسرة عمار بن ياسر رضي الله عنه	١٠٥
- أسرة أم سليم بنت ملحان	١١٠
- أسرة أم حرام بنت ملحان	١١٨
- أسرة أم عمارة	١٢٤

الموضوع	الصفحة
- أسرة عمرو بن الجموح	١٣٠
- أسرة عبد الله بن عمرو بن حرام	١٣٦
- أسرة زيد بن حارثة	١٣٩
- أسرة سعيد بن زيد	١٤٤
- أسرة الطفيل بن عمرو الدوسي	١٥٣
- أسرة الخنساء بنت عمرو بن الشريد	١٥٨
- أسرٌ مسلمة بأرض الحبشة	١٦١
الخاتمة	١٦٥
فهرس المصادر والمراجع	١٧١
فهرس الموضوعات	١٧٧

أخي الداعية كن خفيف النوم — أ. توفيق علي زبادي

فقه الأمر بالمعروف

طريق النصر في معركة الثأر — اللواء الركن: محمود شيت خطاب

إن قضية فلسطين قضية كل مسلم، وعودة الأقصى أمل كل مؤمن.

فما هي أسباب الضعف؟ وما هي أسباب الهزيمة؟ وما هو طريق النصر؟

تقرأ في هذا الكتاب تحليلاً شاملاً، وتوثيقاً دقيقاً، بعين الخبير وقلم المجرب، عن أسباب الهزيمة، وعوامل النصر، مع بيان عوامل ضعف الكيان الصهيوني التي تؤكد بأنه كيان لا يمتلك أدنى مقومات البقاء، فلماذا لم يتلاش حتى اليوم؟

لقد بين المؤلف الأسباب، ورسم الطريق من خلال نصوص الوحي، ومعطيات الواقع، مع بيان الطريق الأوحد للوصول إلى الحق المغتصب في أرض فلسطين.

تزكية النفوس عند ابن تيمية — د. جمال عبدالستار محمد

فنون ومهارات تربية الطفل

الأبناء قرة العين، وبهجت العمر، بهم تحلو الحياة، وعليهم تعلق الآمال، وببركتهم تستجلب الأرزاق، بيد أن ذلك كله مرهون بحسن تربيتهم وتنشئتهم نشأة صالحة، تجعلهم لبنات صالحة في بناء المجتمع.

فكيف تتعرف على طفلك؟ وكيف تكون التربية باللعب؟ وكيف تنمي مهارات ابنك اللغوية والذهنية والحركية؟ وما هو دورك بعد دخوله المدرسة؟ وماهي العلاقة اللازمة بين البيت والمدرسة؟ وكيف يمكن استكشاف موهبة الإبن وتنمية الإبداع لديه؟ كل ذلك تجده في أسلوب شيق وعرض جذاب.

أسر مسلمة في وجه الطغيان

لقد كان للأسرة المسلمة دور بارز في مواجهة الطغيان في عصر النبوة، وذلك منذ بداية الدعوة الإسلامية بمكة، وكان المحرك الرئيسي لتلك الأسر هو العقيدة الإسلامية الراسخة في أعماق أفرادها.

تجد في هذا الكتاب منهج الإسلام في مواجهة الطغيان، مع استعراض نماذج من تلك الأسر في العصر النبوي وكيف كان صبرها وثباتها، وفي ذلك تصبير لكل مؤمن محتسباً بذلك ثواباً من عند الله.

١٠ ر.س